الفصل الأول

نشأة علم الاجتماع الاقتصادى ومجالاته وعلاقته بالعلوم الاجتماعية الاخرى

تمهيـــــد :

١ ـ العلاقة بين علم الاجتماع والاقتصاد ٠

٢ ـ نشأة علم الاجتماع الاقتصادى وتطوره ٠

٣ ـ تعريف علم الاجتماع الاقتصادى ومجالاته ٠

٤ ـ علاقة علم الاجتماع الاقتصادى بالعلوم الاجتماعية الاخرى ٠

أ ـ التـــاريخ ٠

ب ـ الســـياسة ٠

جـ ـ الانثروبولوجيـا ٠

د ـ علم النفس ٠

هـ ـ الجغـــرافيا ٠

Scanned by CamScanner

تمهيـــــد :

شهدت العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر نشاطا ملحوظا فى مجال العلوم الاجتماعية ، كنتيجة طبيعية لنمو التيارات الفكرية والانسانية حول اهمية هذه العلوم ، وضرورة وجودها لدراسة نوعية التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى ظهرت فى مراحل التحول الاخيرة من المجتمع الحديث . ففى خلال هذه المرحلة ، ظهرت علوم اجتماعية متعددة ولاسيما علم الاجتماع الذى يرجع نشأته الاولى فى النصف الاول من القرن الماضى كما شهدت بعد ذلك هذه المرحلة العديد من الاختلافات حول النشأة العلمية لبعض هذه العلوم ، وطبيعة تخصصاتها ، ومجالات اهتماماتها . وهذا ما ظهر واضحا على سبيل المثال بين كل من علماء الا. نماع والاقتصاد .

لكن مع بداية القرن الحالى (العشرين) ، ظهرت بعض التطورات العلمية التى اسهمت فى نشأة وتاسيس هذه العلوم ، ومنها بالطبع علم الاجتماع ، وبداية الاهتمام ببعض الفروع المتخصصة لهذا العلم ، مثل علم الاجتماع الاقتصادى . الا أن هذه الاهتمامات كانت تدور فى نطاق علم الاجتماع العام ، وحدود نظرياته وأدواته المنهجية خاصة فى العقود الاولى من هذا القرن . وتوضح فترة ما بعد الخمسينات ، عن تحولات هامة فى مجال النظرية والمنهج لعلم الاجتماع ، ونمو العديد من الفروع المتخصصة لهذا العلم . الامر ، الذى جعل من هذه الفروع مراكز اهتمامات مشتركة ليس فقط بين المتخصصين السوسيولوجيين ، بقدر ما كانت موضع اهتمام لعدد من العاملين والباحثين فى مجالات متعددة من العلوم الاجتماعية الاخرى .

من هذا المنطلق،سوف يدور محور اهتمامنا لمناقشة المراحل التطورية السابقة على نشأة علم الاجتماع مع بداية القرن الحالى ، ونوعية الخلافات العلمية بين كل من علمى الاجتماع الاقتصاد ، ثم كيفية تحول هذه الخلافات لتكون موضع التقاء فكرى وعلمى واهتمام مشترك بين كل منهما خاصة مع العقود الاولى من نفس هذا القرن . علاوة على تحليل كيف أثمرت تلك الاختلافات على تنوع المجالات المختلفة لعلم الاجتماع الاقتصادى ونشأته

Scanned by CamScanner

وتطوره ، والى اى حد كانت تلك الاهتمامات والمجالات مجالا خصبا يعكس بوضوح العلاقة المتبادلة بين كل من علم الاجتماع الاقتصادى والعديد من العلوم الاجتماعية وفروعها المختلفة .

١ ـ العلاقة بين علم الاجتماع والاقتصاد فى القرن التاسع عشر .

كشفت التحليلات السابقة لأهم المدارس الاقتصادية التي ظهرت فى القرن التاسع عشر والتى تناولنا اهم افكار روادها المختلفة ، عن كيفية ظهور تلك الافكار والتصورات واعتبارها محورا هاما ، عبر بوضوح عن واقع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى عاشتها مراحل التحول نحو المجتمع الحديث . فظهرت افكار مدرسة التجاريين والطبيعيين لتعبر عن الواقع الاجتماعى والاقتصادى الذى ظهر فى كل من فرنسا وانجلترا على وجه الخصوص فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . كما مهدت تلك الافكار لظهور الرواد الاقتصاديين الاوائل والتى تمثلت فى اعمال كل من وليم بيتى ، وترجو ، وكانتيلون ، وديفيد هيوم ، ثم كيف اسهمت تلك الافكار لهؤلاء الرواد فى وضع أسس علم الاقتصاد التقليدى عن «آدم سميث» وغيره من انصار المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية ، ولاسيما مالتوس ، وريكاردو ، ومل وغيرهم(١) . الا ان نمط التفكير الاقتصادى عند أصحاب هذه المدرسة ظل معبرا بوضوح عن نوعية الفكر الاجتماعى السائد وظروف العصر بصورة عامة . فجاءت جميع نظريات القيمة ، والاجور ، والاسعار ، والارباح ، فى علاقاتها بنوعية الطبقات الاجتماعية ، والرغبة فى تحقيق التقدم الاقتصادى والتجارى والصناعى .

ينطبق ذلك تماما ، على بقية المدارس الاقتصادية الاشتراكية أو التقليدية المحدثة التى عرضت أهم افكارها في الفصول السابقة ، والتى تمثلت في تحليلات انصار المدرسة الاقتصادية الخيالية والاشتراكية العلمية ابتداء من تحليلات سان سيمون ، وسيسموندى ، واوين ، وكارل ماركس . وفى الواقع ، لقد شهدت تلك الافكار مولد العديد من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى ظهرت فى المجتمعات الاوروبية خلال القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ، فجاءت معظم هذه التحليلات لتعكس الواقع الاجتماعى والسياسى المتغير ، وكيفية توجيه الفكر الاقتصادى والاجتماعى لتعويض الطبقات العاملة والفقيرة ، وتحقيق المساواة الاجتماعية وعدالة التوزيع ، واشباع الحاجات الاساسية ، والتخفيف من حدة المشكلات

Scanned by CamScanner

الاجتماعية الناجمة عن البطالة ، والسيطرة الرأسمالية ، وعمليات اللاتوازن بين الانتاج والتوزيع والاستهلاك وغيرها .

اما تحليلات المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية المحدثة والتي عرفنا اهم افكارها عند روادها البارزين ولاسيما ، الفريد مارشال وجون كينز ، فلقد كشفت عن تحولات هامة في نمط الفكر الاقتصادي والاجتماعي الذي ظهر بالتحديد مع ابتداء الربع الاخير من القرن الماضي ، وحتى بداية الخمسينات من القرن الحالي . وبالرغم من معاصرة تلك الافكار للنزعات الاقتصادية والاجتماعية الاشتراكية ، والتي تمثلت في الافكار الاقتصادية الماركسية ، الا ان افكار مارشال وكينز حافظت على المكاسب الاقتصادية التي حققتها الرأسمالية في المجتمعات الغربية ، وكيفية تحقيقها للانجازات الهائلة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي معا . وفي الواقع ، فاننا نلاحظ ، ان تصورات بعض علماء الاقتصاد من انصار المدرسة الاقتصادية التقليدية المحدثة ـ كما عبرنا عن ذلك في تحليلنا لكل من مارشال وكينز ـ جاءت لتكشف طبيعة الاهتمامات السوسيولوجية والاجتماعية التي التزم بها هؤلاء العلماء ، وهذا ما ظهر واضحا على سبيل المثال في تحليل نظريات الاسعار ، والسلوك الاستهلاكي ، والانتاج ، والتوزيع ، والارباح ، والاجور . علاوة على ذلك ، لقد عالج كل من مارشال وكينز العديد من مظاهر ومشكلات السياسات الاقتصادية وانعكاساتها على السياسات الاجتماعية الاخرى التي تمثلت في مشكلات البطالة ، والفقر ، والعمالة والتشغيل وغيرها .

بعد هذا العرض السريع الموجز ، يتضح لنا ان نمط التفكير الاقتصادي للمجتمعات البشرية عامة والمجتمعات الحديثة والمعاصرة لا يمكن فهمه بعيدا عن التفكير والحياة الاجتماعية التي توجد بالفعل في هذه المجتمعات . بالاضافة الى ذلك ، ان التغيرات الفكرية للسياسات والنظريات الاقتصادية المتغيرة ، توضح لنا حقيقة هامة هي ، ان تلك النظريات تمثلت في مجموعة من الايديولوجيات المتصارعة ، والتي شهدت أقوى مراحل ظهورها في الخمسينات والستينات من القرن الحالي . كما تعد تلك النظريات والافكار الاقتصادية بمثابة الاتجاهات الفكرية ، التي مهدت بالفعل لنشأة علم الاجتماع الاقتصادي وتطوره في الوقت الحاضر ، واعتباره احد فروع علم الاجتماع العام ، الذي كرس له العديد من اهتمامات المتخصصين والباحثين في السنوات الاخيرة . خاصة ، وان بعض اهتمامات هذا الفرع الحديث

Scanned by CamScanner

«علم الاجتماع الاقتصادى» تسعى لتحليل التطورات التاريخية للظواهر الاقتصادية المجتمعية باعتبارها احد مجالاته الاساسية والتى يهتم بها حاليا .

وضمن اهتمامات علم الاجتماع الاقتصادى ومجالاته المختلفة ، فانها تعالج ايضا كيف نشا هذا الفرع وتطور ؟ وما هى المراحل التاريخية التى مر بها هذا الفرع الحديث كغيره من الفروع المتخصصة من علم الاجتماع ؟ وما طبيعة الخلافات العلمية حول نشاة هذا الفرع (علم الاجتماع الاقتصادى) ، وخاصة انه يعتبر موضع التقاء بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد ؟ وكيف ادت تلك الخلافات الاولية حول نشاته الى تعاون المتخصصين بعد ذلك وللاستفادة من مجالات التخصص والموضوعات التى يعالجها فى الواقع ؟ تلك التساؤلات سوف تكون موضع اهتمامنا للاجابة عليها فى ضوء تحليل النشاة التطورية وظهور علم الاجتماع الاقتصادى .

يرجع بعض علماء الاجتماع الاقتصادى المعاصرين ، الى أن طبيعة الخلافات الاولى التى ظهرت حول نشاة هذا الفرع الحديث من فروع علم الاجتماع ، تعد شيئا طبيعيا ، خاصة وان الصراع الفكرى بين العلماء والمتخصصين فى العصور الانسانية عبر عن ذلك بوضوح ومنها على سبيل المثال الخلافات الاولية التى ظهرت بين علماء الاجتماع والنفس وظهور علم النفس الاجتماعى Social Psychology ، فلقد ظهرت خلافات متعددة حول شرعية هذا الفرع من فروع علم النفس والاجتماع معا ، ولكن ما لبث أن تغيرت هذه الخلافات ، ونتج عنها المزيد من ثمرات الالقاء الفكرى بين كل من علماء النفس والاجتماع على حد السواء .

لكن قد يختلف الامر،حول نوعية الخلافات بين كل من علمى الاجتماع والاقتصاد ، بالمقارنة بالخلافات التى ظهرت بين علم الاجتماع والنفس حول نشاة علم النفس الاجتماعى . خاصة ، وان النشاة التاريخية لكل من علمى الاجتماع والنفس تكاد تكون متزامنة بعض الشىء ، ولكن تشير الخلافات بين علماء الاقتصاد والاجتماع عن تباين ملحوظ فى النشاة الاولى لهذين العلمين . فلقد سبق علم الاقتصاد فى الظهور عن علم الاجتماع بقرابة ثلاثة ارباع قرن من الزمان ، اذا ما فرضنا أن نشاة علم الاقتصاد عندما نشر آدم سميث كتابه ثروة الامم عام ١٧٧٦ ، ووضع «أوجست كونت» أولى أفكار علم لاجتماع فى دروس الفلسفة الوضعية Cours de Philosophie positive

Scanned by CamScanner

فى الفترة ما بين (٣٠ ـ ١٨٤٢) . ومن ثم ، فان علم الاقتصاد بتراثه الفكرى وتاريخه يسبق علم الاجتماع من حيث النشأة وحجم التراث الفكرى فى نفس الوقت . فقد طور علم الاقتصاد العديد من النظريات والاساليب المنهجية والتحليلية التى يعالج بها الظواهر الاقتصادية اكثر من علم الاجتماع . ومن هذا المنطلق ، فان التوقعات المترتبة على هذا التباين التاريخى والنشأة الاولى لكل من العلمين سوف ينتج عنها خلافات حول نوعية الاهتمامات والقضايا التى يعالجها كل علم على حده(٢) .

هذا لا ينفى من وجود علاقات قوية بين علم الاجتماع والسياسة والفلسفة وعلم النفس ، والقانون ، بالمقارنة بين هذه العلوم الاخيرة وعلم الاقتصاد. وبصورة عامة ، ان ظهور العلاقات بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد ترجع جذورها خاصة الى العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، بعد أن طرح كونت افكاره السوسيولوجية ، حول اهمية واحقية ظهور علم الاجتماع على قائمة العلوم الاجتماعية . حيث سعى للدفاع عن نشأة علمه الجديد وتفنيد العلوم الاجتماعية الاخرى ، التى هدفت لاعاقة ظهوره ولاسيما من جانب علماء الاقتصاد السياسى .

لقد كشفت بعض التحليلات للدروس او المحاضرات التى كان يلقيها كونت (حول الفلسفة الوضعية) فى واخر الثلاثينات من القرن الماضى،كيف سعى كونت لتفنيد الاراء والادعاءات التى وجهت الى علم الاجتماع وافكاره الاساسية . الامر ، الذى جعله يصف «الاقتصاد السياسى» على انه علم «ميتافزيقى» «وذو نوعية محدودة» ويترجم هذا الراى من جانب كونت لدفاعه حول نشأة علم الاجتماع . كما تكشف المناقشات العلمية التى ظهرت لكونت فى انجلترا وبالتحديد عام ١٨٣٩ وجهة نظره وساعده فى ذلك العالم الاقتصادى والفيلسوف جون ستيوارت مل J. S. Mill الذى اتفق معه فى معظم افكاره فى الفترة ما بين ١٨٤١ ـ ١٨٤٧ . فلقد اعجب «مل» كثيرا باراء كونت الوضعية ، ولم يشعر بوجود اختلاف فكرى معها وخاصة انتقاداته للاقتصاد السياسى .

ففى عام ١٨٦٥ نشر كونت مؤلفه «كونت والوضعية» Comte and Positivism ، والتى سعى «مل» لظهورها بصورة علنية واضحة ، خاصة أن «مل» وجد فى افكار «كونت» نزعة واقعية انتقادية لعلم الاقتصاد

Scanned by CamScanner

السياسى . وفى خلال السبعينات من نفس القرن الماضى جذبت آراء كونت مجموعة من علماء الاقتصاد المشهورين فى ذلك الوقت ولاسيما جون كينز J. Keynes . والفرد مارشال A. Marshall ، وجون كيرنز J. Cairnes ولعل السبب الاول الذى يكمن فى تفسير مدى اهتمام هؤلاء العلماء الاقتصاديين باراء كونت الوضعية ، لا يرجع بالدرجة الاولى الى انتشار «النزعة الوضعية» فى الدوائر العلمية البريطانية . ولكن يرجع الى اعتبار «الوضعية» احد الوسائل المنهجية الجديدة التى اخذت فى الانتشار فى كل من المانيا والنمسا ، ثم بعد ذلك فى بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة(٢) .

لكن قبل حدوث تفاهم مشترك بين كونت وعدد من علماء الاقتصاد البريطانيين فى اواخر القرن التاسع عشر ، توجد بعض الآراء التى اعترف بها هؤلاء العلماء وعدم التشكيك فى اهمية علم الاجتماع واسهاماته فى تطور النظرية الاقتصادية . فلقد ناقش كونت مرارا آرائه حول علم الاقتصاد السياسى واعتباره علما ميتافزيقيا . ولقد استند كونت فى توضيح هذه الآراء المنهجية المجردة التى يعتمد عليها الاقتصاد السياسى ، علاوة على استخدامه الاساليب الاستنباطية . كما أن هذا العلم ـ على حد تصورات كونت ـ لا يمكن فهمه الا من خلال المجتمع الذى يعالج قضاياه الاساسية . وبايجاز ، لقد ظهرت مجموعة من الانتقادات لتصورات كونت ، خاصة من اصحاب الاتجاهات الاقتصادية البحتة ، والتى تحد كلية من عملية تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية . وان كان كونت قد حدد بوضوح انه من الصعب على علم الاقتصاد أن يدرس أو يفهم معزولا عن المجتمع . خاصة وأن هذا «العزل» يعد احد الاساليب الميتافزيقية المجردة . من هذا المنطلق نجد أن انتقاد كونت للاقتصاد يكمن فى نزعة «الوضعية» وتحليلاته للظواهر المجتمعية ، بما فيها الظواهر الاقتصادية على أنها ظواهر «واقعية» يجب تحليلها عن طريق الملاحظة الواقعية ، وبعيدا عن التجريد ، والاعتماد على الاساليب المنهجية العلمية .

بالرغم من ذلك ، ظهرت بعض التحليلات الاقتصادية لعلماء «الاقتصاد» فى القرن التاسع عشر لتعبر عن وجهات نظر مغايرة لافكار كونت وانتقدته سواء لتصوراته الوضعية أم لاساليبه المنهجية ، مدعية أن الاساليب المجردة التى كان ينتهجها علم الاقتصاد ربما تكون ذات فائدة من النزعة الوضعية التى اعتنقها كونت بصورة متعمقة . كما تحولت بعض هذه الانتقادات الى

Scanned by CamScanner

شرعية وجود علم الاجتماع ذاته ومستقبله ، واعتباره «علما لا قيمة له» ، وهذا ماظهر على سبيل المثال فى تصورات «الفريد مارشال»وانتقاده لكونت ووضعه علم الاجتماغ على قائمة العلوم الاجتماعية جميعا · وهذا بالفعل ما أيده تلميذه جون كينز بعد ذلك ، واعتبار وجهة نظر كونت حول الاقتصاد «آراء ردىكالية» تتجاهل النتائج التى توصل اليها هذا العلم (الاقتصاد) ، كما شككوا فى مقدرة علم الاجتماع لان يصل الى نفس هذه النتائج خاصة وأن كونت اعتبره العلم الاجتماعى الاول(٤) ·

فى الواقع ، تعكس جملة الآراء والانتقادات التى وجهت الى كونت من قبل علماء الاقتصاد البريطانيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، مدى حرص هؤلاء العلماء على ضرورة ان يركز علم الاجتماع اهتماماته ويترك شئون علم الاقتصاد او طرقه المنهجية والتحليلية لعلماء الاقتصاد أنفسهم · وهذا ما يجعل تلك الآراء تجد رفضا لها سواء فى القرن التاسع عشر أو فى الوقت الحاضر ، نظرا لان اهتمامات علم الاجتماع تتركز على كل من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية واعتبار الاخيرة ظواهر مجتمعية خالصة ·

وان كانت قد ظهرت بعض النزعات السوسيولوجية من قبل علماء الاجتماع انفسهم او علماء الاقتصاد الذين ركزوا على وصف علم الاجتماع بأنه Leftover Science متاثرين بآراء علماء الاقتصاد البريطانيين فى القرن التاسع عشر ، والتى تدعو الى ضرورة أن يظل علم الاجتماع بعيدا ليس فقط عن مجال علماء الاقتصاد ولكن أيضا علم السياسة والعلوم الاجتماعية الاخرى ، التى كانت موجودة بالفعل قبل نشأة علم الاجتماع · ولقد ظهرت تلك الآراء فى ضوء ما يعرف بفكرة تقسيم العمل الفكرى The division of Intelletual Labour بين العلوم الاجتماعية ، خاصة بعد أن أخذت تلك العلوم تكتسب شرعيتها النظامية والمؤسساتية سواء فى الجامعات أو المراكز الاكاديمية العلمية(٥) · فكل علم من العلوم الاجتماعية سعى لتحديد هويته مستخدما فى ذلك كافة الاساليب الشرعية أو نماذج من الصراع مع العلوم الاخرى ، التى كانت سابقا تدعى انتماءه لها · وهذا ما ينطبق على علم الاجتماع ، الذى يعتبر علما حديث النشأة بالمقارنة بعلم الاقتصاد وتراثه التاريخى والاكاديمى الطويل · ولهذا السبب ، جعل علم الاجتماع يركز اهتماماته قبل نهاية القرن التاسع عشر ، بعيدا عن مجالات علم الاقتصاد وينشغل بقضايا اجتماعية عامة مثل الاسرة ، والفقر ، والثقافة ، والتعليم وغيرها ·

Scanned by CamScanner

فى الواقع ، لقد استمر هذا الوضع العلمى بالنسبة لعلم الاجتماع فى العقود قبل الاخيرة من القرن التاسع عشر ، حيث لم تظهر امكاناته العلمية لهذا العلم فى أوروبا الا حتى العقد الاخير (التسعينات) من نفس القرن ، عندما ظهرت مجموعة الرواد الاوائل من امثال اميل دوركايم Durkheim وفيبر Weber . وانتشار جهود الجيل الاول من المدرسة السوسيولوجية الامريكية مع بداية العقد الحالى خاصة بعد ان ظهرت اعمال روس Ross وكولى Cooley ، وسمنر Sumner ، وزنانيكى Znaniecki وبارك Park وبيرجس Burgess وغيرهم .

على اية حال ان تحليل العلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد خلال التسعينات من القرن التاسع عشر ، تظهر من خلال تاثير علماء الاجتماع الامريكى وبداية الاهتمام بعلم الاجتماع فى الجامعات والاكاديميات العلمية وما سمى بمرحلة التحول نحو المؤسساتية Institutionalization

كما يوجد سببان اساسيان يوضحان هذه العلاقة وهما اولا : تطور علم الاجتماع بصورة سريعة منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين ، وبدات اهتمامات هؤلاء العلماء بدراسة قضايا اقتصادية وازداد تاثيرهم على العديد من علماء الاجتماع فى الدول الاخرى . ثانيا : زيادة الخلافات بين علماء الاقتصاد والاجتماع بصورة ملحوظة فى الولايات المتحدة لتحقيق المكانة العلمية بالجامعات ، ومن ثم يجب أن (علم الاجتماع) يهتم بدراسة القضايا الاقتصادية .

وفى اطار هذين السببين السابقين ، يمكن توضيح العلاقة بين علم الاجتماع والاقتصاد فى أواخر القرن التاسع عشر والذى احتدم الخلاف بينهما على احقية اى العلمين أولى للاهتمام بدراسة القضايا الاقتصادية ، خاصة بعد ان اصبح علم الاجتماع علما معترفا به داخل الجامعات ، كما انشىء خلال هذه الفترة الاتحادات المهنية سواء لعلم الاجتماع والاقتصاد ، بعد أن كانت تجمع داخل نطاق الاتحاد الامريكى للعلوم الاجتماعية . American Social Sciences Association وذلك منذ عام ١٨٦٥ .

ومع زيادة اهتمام علماء الاجتماع بدراسة القضايا الاقتصادية بدات تظهر مخاوف علماء الاقتصاد من طموحات هذا العلم ، وسعيه ليكون موسوعة اجتماعية يغطى كل شىء حتى القضايا والمشكلات الاقتصادية . وما لبث ان ظهرت مجموعة من العداءات من جانب علماء الاقتصاد لعلم الاجتماع ، وهدفت فى مجملها لاقصاء علماء الاجتماع بعيدا عن مناطق نفوذ واهتمامات

Scanned by CamScanner

علم الاقتصاد ، وظهر ذلك بوضوح مع منتصف التسعينات . وامام هذه العداءات والانتقادات بدأ يتخلى علماء الاجتماع عن مناقشة تلك القضايا ، خاصة بعد أن ظهر بين علماء الاجتماع أنفسهم تساؤلات تدور حول ماذا يعنى ويهدف علم الاجتماع ذاته ؟ . ولكن ظهر رد فعل مضاد من جانب بعض علماء الاجتماع بعد ذلك ، وتصدوا للانتقادات المريرة من جانب علماء الاقتصاد . ودخلت الخلافات بين العلمين فى اطار علمى جديد ، ويمكن أن نعرض بايجاز لاهم افكار علماء الاجتماع واسباب اختلافهم مع علم الاقتصاد ابان هذه الفترة كمايلى :(٦)

اولا : ظهور اهتمامات كل من ليستر ورد L. Ward ، واليون سمول A. Small من بين علماء الاجتماع البارزين ، الذين حددوا مهمة علم الاجتماع ، ليقوم بالتنسيق بين العلوم الاجتماعية بما فى ذلك علم الاقتصاد. وكانت تلك الفكرة احدى تصورات كونت، التى تعرض فيها لانتقادات مريرة من جانب علماء الاقتصاد قبل ذلك .

ثانيا : اهتمام فرنكلين جدينجز F. Giddings باهمية تطبيق واستخدام المنظور السوسيولوجى Sociological Perspective فى دراسات علم الاقتصاد السياسى . وتتلخص «فكرة جدينجز» بامكانية تحليل المشاكل الاقتصادية للاساليب والمنظورات السوسيولوجية ، كما يجب أن ينظر الى علم الاقتصاد على أنه يعالج قضايا مجتمعية . اذن فهو فى مرحلة تالية بعد علم الاجتماع. وعموما ، لقد تبنى افكار جدنيز العديد من علماء الاجتماع خاصة بعد زيادة نشاط اتحاد علم الاجتماع الامريكى فى عام ١٩٠٥ .

ثالثا : تكشف طبيعة العلاقة بين علم الاقتصاد والاجتماع خلال القرن التاسع عشر عن وجود اختلافات بين العلمين خاصة حول اهتمامهما بقضية السياسة. لقد بدأ أوجست كونت فى «دروس الفلسفة الوصفية» حملة انتقادات شديدة ضد علماء الاقتصاد نظرا لاهمالهم الاهتمام بمشكلات الطبقات العاملة ، وعداءاتهم للسياسات الحكومية والمشكلات الاجتماعية الناجمة عن التصنيع والانتاج . خاصة وان تلك المشكلات والطبقات تعتبر جزءا واقعيا من المجتمع الحديث المصاحب لازدهار الراسمالية . وهذا ما جعل عالم الاقتصاد الشهير «الفرد مارشال» يعترف بجزء من انتقادات كونت ويوجه اهتمامات علماء الاقتصاد نحو معالجة تلك القضايا بصورة واقعية ، هذا بالرغم من اختلافه مع كونت خلال هذه المرحلة حول بعض القضايا الاخرى.

Scanned by CamScanner

فى الواقع ، لقد تطور الخلاف حول قضية الاهتمام بالسياسة من قبل علماء الاجتماع والاقتصاد ، وركز الاخرون على مدى امكانية ان تعتبر العلوم الاجتماعية علوما « حيادية » أم لا ؟ . ولكن هذا يكشف عن تناقض اهتمامات هؤلاء العلماء كثيرا بقضايا السياسة وعدم تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية قبل اهتمامات علماء الاجتماع بسنوات طويلة . وعلى اية حال ، ان تلك القضية ظلت موضع تداول من جانب العديد من علماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة بفترات طويلة ، وربما تظهر تحليلات ماكس فيبر ، حول «الحقائق» ، «والقيم» ، «والسياسة» ، «والحيادية» ، «والاخلاق المهنية» بين العلوم الاجتماعية ، احدى التحليلات الهامة التى توضح مدى انشغال هذه العلوم والمهتمين بها بقضايا متعددة ، ولاسيما القضايا التى ترتبط بمفاهيم العلوم وفلسفتها ، ومناهجها العامة . وان كان قد شارك فيبر فى هذا الصدد بعض علماء الاقتصاد والسياسيين من أمثال جون ستيوارت مل على سبيل المثال .

وفى اطار تحليلنا للعلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد ابان القرن التاسع عشر ، نود ان نشير بايجاز ايضا الى بعض اهتمامات العلماء الذين أسهموا فى كل من العلمين معا خلال نفس الفترة ، كما كانت لهذه الاسهامات من آثار ايجابية متعددة على نشأة علم الاجتماع الاقتصادى وتطوره حتى يومنا هذا . وتعتبر تحليلات كل من «كارل ماركس» K. Marx وآدم سميث A. Smith نموذجا واضحا لهذه الاسهامات خاصة وان كتاباتهما ظهرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، واصطبغت بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى نفس الوقت ولا تزال موضع اهتمام للعديد من العلوم الاجتماعية والمهتمين بها حتى الوقت الحاضر(٧) .

فتحليلات ماركس لا يمكن تجاهلها من الناحية العلمية سواء من قبل علماء الاجتماع المبكرين أو المعاصرين عندما يتعرضون لقضايا اقتصادية بحتة ، وربما لم يشر ماركس بوضوح الى مصطلح علم الاجتماع وماهيته ، ولكن سعى لأن يؤسس نوع معين جديد من العلوم الاجتماعية ومختلف بعض الشيء عن كتابات كونت السوسيولوجية . ولاتزال توصف أعمال ماركس بانها قريبة الى تحليلات علماء الاجتماع الاوائل لمحاولة التنسيق بين الحقائق العلمية والمظاهر العلمية التى تهتم بها العلوم الاجتماعية . ويظهر ذلك بوضوح فى تاكيداته على اهمية الحقائق التاريخية ، كما توضح اهتماماته واساليبه المنهجية انه كان قريبا جدا الى تحليلات الرعيل الاول

Scanned by CamScanner

من علمـاء الاجتمـاع اكثر منهـا الى المدارس الاقتصـادية التقليدية عنـد معالجتها للنظريات الاقتصادية ٠

وربما توضح التحليلات السوسيولوجية المعاصرة مدى اهتمامها بمعالجة كتابات ماركس واسهاماته فى علم الاجتمـاع الاقتصادى ، وبرغم أن هذه التحليلات تعترف باهمية هذه الكتابات ولكنها لاتعزو اهميتها الى تطور علم الاجتماع الاقتصادى بالمقارنة الى اسهامات ماكس فيبر على سبيل المثال٠كما تكمن اهمية كتابات ماركس وتظهر بوضوح عندما نجدها فى تحليلات فيبر واشارته لاسهامات الاول ورؤيته الى علم الاقتصاد كإحد العلوم الاجتماعية٠ وعمـوماً ، تصنف اعمـال ماركس ضمن اعمال عـلم الاقتصاد الاجتمـاعى SocialEconomy وحسب تصـورات فيبر ، فان ماركس كعالم اقتصادى اجتماعى ، قد اسهم كثيرا فى كل من «عـلم الاجتماع» والاقتصاد وهـذا ما يشارك فيه الراى جوزيف شومبيتر J. Schumpeter بصورة عامة ٠ فكتابات ماركس ـ كما تصور فيبر ـ تجمع بين علم الاجتمـاع الاقتصادى ، وتاريخ الاقتصاد ، والنظريات الاقتصادية فى نفس الوقت ٠

من هذا المنطلق ، فان كتابات ماركس فى القرن التاسع عشر ، التى تعـبر بوضـوح عن أهميـة ظهـور عـلم الاجتمـاع الاقتصادى ومنظوراته السوسيولوجية ومعالجة بعض القضايا والموضوعات المشتركة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد معا ٠ كما تقلل من حجم الخلافات الاولى التى ظهـرت خلال القرن التاسع عشر ، التى عـرفت مصـدر اهتماماتها الاساسية حول النشاة التاريخية لعلم الاجتماع ذاته ٠ كمـا لايمكن أن تترك الساحة العلمية حاليا لمعالجة كتابات ماركس الاقتصادية الى العلماء الماركسيين الاقتصاديين فقط ، دون محاولة الرد عليهم من قبل علمـاء الاجتماع وتحليـل القضايا المتعددة التى طرحها ماركس من قبل ابان القرن التاسع عشر ، وهذا مايجب أن يهتم بمعالجة علم الاجتماع الاقتصادى ، ولاسيما مشـكلات الاغتراب ، والامبريالية ، والصراع الطبقى ، والانتاج ، والتوزيع ، والاستهلاك وغيرها من الموضوعات الاخرى ٠

فى الواقع ، لقد سعى بعض علماء الاجتماع الاقتصادى سواء فى أوروبا والولايات المتحـدة من أمثـال سـويد بيرج Sweedberg ، أونيـل سملسر N. Smelser أو غـيرهما ، الاشـارة الى تحليـلات ماركس الاقتصـادية

Scanned by CamScanner

الاجتماعية شأنها فى ذلك شأن تحليل كتابات «آدم سميث» الاقتصادية من منظور علم الاجتماع الاقتصادى ، خاصة وان كتابات سميث لم تكن تصنف تحت عنوان علم الاقتصاد ، الذى لم ينشأ كعلم حديث الا بعد ظهور «ثروة الامم» على حد وصف بعض مؤرخى التاريخ الاقتصادى كما أشرنا الى ذلك فى الفصول السابقة . فتصورات «سميث» لم تكن بمثابة افكار اقتصادية بحتة ،بقدر ما جمعت الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية والسياسية فى نفس الوقت ، حيث ظهرت افكاره فى فترة كانت العلوم الاجتماعية جميعا علما واحدا . الامر ، الذى جعل الرعيل الاول من علماء الاجتماع يعترفون باهمية تحليلاته ، ولاسيما «اوجست كونت» ذو النزعة العدائية للاقتصاد . وتترجم أعلى مراحل هذا الاهتمام من قبل علماء الاجتماع بكتابات سميث عندما وضع اليون سمول A. Small مؤلفا يحمل عنوان «آدم سميث وعلم الاجتماع الحديث» In Adam Smith and Modern Sociology وذلك فى عام ١٩٠٧ ، والذى أشار فيه الى حقيقة عندما يقرأ الفرد «ثروة الامم» يشعر تماما بان مؤلفه عالما اجتماعيا .

وتظهر أهمية تحليلات «سميث» واعجاب الكثير من علماء الاجتماع الاوائل و المعاصرين ليس فقط عند معالجته للظواهر الاقتصادية ، ولكن محاولته لبناء علم اجتماعيا عاما يقوم على الاخلاق أو الفلسفة الاخلاقية، بعيدا عن مضمون علم الاقتصاد السياسى الذى ظهر خلال القرن التاسع عشر. وهذا ما جعل على سبيل المثال ، أن يهتم «سمول» فى أحد فصول كتابه المشار اليه سابقا ، أن يعالج بوضوح منهجية سميث فى العلوم الاجتماعية. ومن هذا المنطلق ، يأتى أهمية دور علم الاجتماع الاقتصادى ، ليعيد دراسة وتحليل «ثروة الامم» وليتعرف بوضوح على تحليلات هذا العالم ، وكيف أسهم «سميث» فى وضع اسس العديد من الموضوعات الهامة مثل التجارة الخارجية الحرة ، ونظم الحماية ، وطبيعة الاسواق .

فعند تحليل سميث «للأسواق» لم يشر الى الايدى الخفية التى تسهم فى الانتاج والتقدم الاقتصادى ، بقدر ما ركز على رؤية سوسيولوجية واقعية ، اظهر فيها بوضوح أهمية كل من الفرد والمجتمع معا ودورهما فى تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى . كما ان «سميث» لم يطلق العنان كلية الى حكم رجال الاعمال واعطائهم الحريات المطلقة ، فلقد أشار الى ضرورة

Scanned by CamScanner

محاربة الجشع والطمع البشرى ، والروح الاحتكارية لطبقة التجار والصناع والذين لا يجب ان تترك لهم الساحة المجتمعية للسيطرة والتحكم فى الجنس البشرى . كما حذر «سميث» من ان اطلاق الحرية لرجال الاعمال كلية ،لان ذلك سوف يؤدى الى تحقيق اهدافهم عن طريق المؤامرات ويقضى على الاعمال الشريفة والخلاقة ، التى تجزى فى الحياة الاقتصادية والاسواق . ومن ثم ان محور الفكرة الرئيسية عند سميث ، كانت تدور حول وضع الاسس النظامية للحياة الاقتصادية والاجتماعية ،بما فيها الطبقات الاقتصادية الراسمالية ، وذلك لتحقيق كل من المصالح الفردية والمجتمعية فى نفس الوقت باعتبارهما وجهين لعملة واحدة .

عموما ، ان تحليلات «آدم سميث» كما اشار اليها فى «ثروة الامم» كانت موضع اعجاب شديد لكثير من علماء الاجتماع منذ بداية القرن الحالى، كما ظهر ذلك واضحا فى تحليلات وافكار اليون سمول على سبيل المثال . ولكن حان الوقت لتكون تلك الاهتمامات لسميث مثل غيرها من كتابات ماركس والرعيل الاول من علماء الاقتصاد الاجتماعي ، التى ظهرت ابان القرن التاسع عشر ، وتعد موضع اهتمام لعلم الاجتماع الاقتصادى ، وخاصة ان افكار هؤلاء العلماء اصطبغت بالطابع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والاخلاقى ، بالرغم من ظهورها فى القرن التاسع عشر ، واسهمت بدون شك فى تطور هذا الفرع الحديث من علم الاجتماع ووضعت اسسه الاولى خلال القرن الحالى العشرين وهذا ما سوف نهتم به حاليا .

٢ ـ نشاة علم الاجتماع الاقتصادى وتطوره فى القرن العشرين :

اتسمت طبيعة العلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد خلال القرن التاسع عشر ، بمجموعة من مظاهر الخلاف حول نوعية القضايا والموضوعات التى يجب معالجتها كل علم على حده . وتوضح تلك الخلافات امورا عادية تثار بين علماء العلوم الاجتماعية عند نشاة او تاسيس احد فروعها ذات الاهتمامات المشتركة بين تلك العلوم . وهذا ما حدث فى الواقع عند نشاة علم النفس الاجتماعى ، والخلافات التى ظهرت بين كل من علم النفس والاجتماع ، شان ذلك علم الاجتماع السياسى ، وعلم الاجتماع القانونى وعلم الاجتماع الطبى وغيرهم .

لكن ما تلبث أن تتبلور نوعية الاهتمامات والتخصصات العلمية وتحد

Scanned by CamScanner

حدة الخلافات بين العلوم الاجتماعية أو الطبيعية ، خاصة بعد ان تتضح أهمية الموضوعات والقضايا التى تعالجها هذه الفروع الحديثة والتى نشأت نشأة طبيعية نتيجة لنمو التخصصات ، وتطور الاطر النظرية والاساليب المنهجية ، التى تسهم فى معالجة القضايا بصورة أكثر علمية وواقعية . علاوة على ذلك ، يجب الاشارة هنا الى حقيقة هامة مؤداها ، أن معظم الصراعات أو الخلافات التى نشأت بين كل من علم الاجتماع ، والنفس ، والسياسة ، والقانون ، والطب ، والاقتصاد ، جاءت معظمها فى فترة من الفترات الحديثة النشأة سواء لعلم الاجتماع أو بعض تلك العلوم ايضا . كما لم تكن قد تحددت بعد هوية تلك الفروع الحديثة ومجالاتها المختلفة ، بالاضافة الى ان معظم العلوم الاجتماعية كانت تسعى للحصول على الاعتراف الاكاديمى العالمى وتحديد مكانتها بالجامعات والمعاهد العلمية المختلفة .

يبرهن على ذلك ، طبيعة التحليلات السابقة عن الخلافات بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد خلال القرن التاسع عشر ، وان كان ذلك لم ينف من من وجود بعض التقارب فى وجهات النظر بين كل من أوجست كونت ، وجون ستيوارت مل وغيرهما من علماء الاقتصاد فى القرن التاسع عشر على وجه الخصوص . كما كانت هناك بعض الاهتمامات المشتركة بين كل من علماء الاجتماع والاقتصاد على أهمية تحليلات وكتابات بعض العلماء من امثال كارل ماركس وآدم سميث ، خاصة وان هذه التحليلات جاءت لتعبر عن الكثير من القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية فى نفس الوقت . وعلى اية حال ، لقد شهد بداية القرن العشرين اهتمامات وتطورات متعددة تتعلق بموضوع اهتمامنا الحالى ، حول تحليل النشأة التطورية لعلم الاجتماع الاقتصادى ، خاصة بعد أن تحددت المعالم الاساسية والقضايا العامة التى يعالجها علم الاجتماع ذاته . ويمكن أن تحدد تلك التطورات لنشأة علم الاجتماع الاقتصادى خلال القرن الحالى الى ثلاث مراحل تقريبية وهى[٨] :

(أ) الفترة الاولى (١٩٠٠ ـ ١٩٣٠) :

خلال العقد الاول من القرن الحالى ، بدأ علم الاجتماع يرسى قواعده فى العديد من الجامعات الامريكية والاوروبية ، ونشرت مجموعة من أعمال العلماء السوسيولوجيين من امثال ليستر ورود Ward ، والبيون سمول Small ، وفرانكلين جدينجز Giddenes وغيرهم . كما تم تاسيس الاتحاد

Scanned by CamScanner

الامريكى لعلم الاجتماع فى عام ١٩٠٥ . وظهر نوع من التقارب بين علماء الاقتصاد والاجتماع ، خاصة بعد ان تخلى كثير من علماء الاجتماع مع نهاية القرن التاسع عشر عن بعض افكار اوجست كونت الداعية للتويج علم الاجتماع على راس قائمة العلوم الاجتماعية باسرها .

كما شهد هذا العقد الكثير من التطورات التى اعطت دفعة قوية لنشأة علم الاجتماع الاقتصادى فى اوروبا ، ولاسيما فى المانيا عندما حدث نوع من التعاون المثمر بين علماء الاقتصاد والاجتماع ، كما حدث ذلك بالفعل بين جوزيف شومبيتر J. Schumpeter وماكس فيبر M. Weber فلقد سعى الاول ممثلا لمدرسة الاقتصاد الكلاسيكى المحدث او ما يسمى بالمدرسة النمساوية The Austrian School ، ان يتقرب كثيرا لموضوعات علم الاجتماع ، ويهتم بتبنى المداخل السوسيولوجية في معالجة الظواهر الاقتصادية ، كما كان انضمامه لعضوية الاتحاد الالمانى الاجتماعى ، عاملا قويا لزيادة رابطة التعاون مع العديد من علماء الاجتماع الالمان ، واشترك فى نشر العديد من الدراسات ذات الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية . وبايجاز ، سعى شومبيتر لتحديد معالم علم الاقتصاد الحديث ، عن طريق التعاون مع علم الاجتماع ، وهذا ما ظهر واضحا فى كتابه «تاريخ تحليل الاقتصاد» In Economic History Analysis عندما اشار بوضوح الى ان الاقتصاد يتكون من اربعة مجالات هى(٩) : (١) النظرية Theory (٢) تاريخ الاقتصاد Economic History ، (٣) الاحصاءات Statistics (٤) علم الاجتماع الاقتصادى Economic Sociology . كما اكد اهمية تعاون علم الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الاخرى ، خاصة وان الحقائق الاقتصادية وغير الاقتصادية (الاجتماعية) مرتبطة جميعا بمختلف العلوم الاجتماعية التي يجب أن ترتبط ببعضها البعض .

أما ماكس فيبر ، فلقد حاول أن يقوى روابط العلاقة بين علم الاقتصاد والاجتماع . ففى بداية حياته الاكاديمية ترك دراسة القانون لاقتناعه الشديد باهمية علم الاقتصاد خاصة وان الاخير يعتبر من العلوم الاجتماعية الاكثر مرونة وواقعية . وفى عام ١٩٠٤ نشر احدى مقالاته الشهيرة عن «الموضوعية فى العلوم الاجتماعية» Objectivity in The Social Sciences ، علاوة على آرائه حول النماذج المثالية Ideal types لتكون وسيطا فكريا وتصوريا لتحليلاته التاريخية . كما اعلن فيبر عن ضرورة توجيه علم الاجتماع وجعله

Scanned by CamScanner

علما اجتماعيا اقتصاديا ،وذلك خلال عمله محررة «الارشيف» ، والمهتم بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى مثل النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية ،وتاريخ الاقتصاد ،وايضا علم الاجتماع الاقتصادى.علاوة على ذلك ،يعد كتابه «أسس الاقتصاد الاجتماعى» Croundiss der Sozialokonomik الذى وضعه فى السنوات المبكرة من القرن الحالى بالاشتراك مع عدد من علماء الاقتصاد او الاجتماع معا . احد الاسهامات التى عالج فيها فيبر افكاره المنهجية السوسيولوجية التى يجب استخدامها عند دراسة القضايا والموضوعات الاقتصادية . كما عاونه فى وضع هذا الكتاب،مجموعة من علماء الاقتصاد الالمان من امثال شومبيتر Schumpeter ، وفان ويسرس V. Wiesers ، وبوشر Bucher ، وسمبارت Sombart ، وايضا عالم الاجتماع الايطالى روبرت ميشيلز R. Micheis . وعموما ، ان اهتمامات كل من شومبيتر وفيبر من رواد المدرسة الاقتصادية الاجتماعية الالمانية ساعدت كثيرا فى نشأة وتطور علم الاجتماع الاقتصادى ، ونظرا لأهمية تلك الاسهامات سوف نشير اليها لاحقا فى الفصول القادمة .

وفى فرنسا كانت لجهود عالم الاجتامع اميل دوركايم E. Durkheim منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى العشرينات من القرن الحالى اسهاما بالغا فى وضع اسس كل من علم الاجتماع وفروعه المتخصصة ، ولاسيما علم الاجتماع الاقتصادى . فلقد تناول دوركايم جزءا كبيرا من مؤلفه الهام Année Sociologique ، الذى نشر فى عام ١٨٩٧/٩٦ تناول فيه كثيرا لعلم الاجتماع الاقتصادى . ويعرض ريموند ارون R. Aron لاهتمامات دوركايم فى هذا المجال بان معالجته للقضايا الاقتصادية جاءت كنوع من المشكلات الاجتماعية ذات الطابع الاخلاقى(١٠) . كما تتلخص آراء دوركايم بايجاز ، حول علم الاجتماع الاقتصادى فى ثلاث نقاط اساسية وهى ، اولا : نقده لعلماء الاقتصاد واهتماماته المجردة ، وثانيا ، محاولتهم لعزل الظاهرة الاقتصادية عن الاجتماعية ، وثالثا محاولة دوركايم لمعالجة بعض المشكلات الاقتصادية والنظم التى كانت ترتبط بقضايا اجتماعية واقتصادية محددة ولاسيما مشكلة الملكية الخاصة .

كما توضح العديد من مؤلفات دوركايم السوسيولوجية وجهات نظره حول علم الاجتماع الاقتصادى،فلقد تناول بوضوح فى كتابه «قواعد المنهج الاجتماعى» The Rules of Sociological Method معالجة الظواهر الاقتصادية

Scanned by CamScanner

عن طريق استخدام المنظورات السوسيولوجية . كما اشار الى ذلك ايضا ، في احد مقالاته عن «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية» التي نشرت عام ١٩٠٣ . وان كان قد تعرض دوركايم للعديد من الانتقادات من جانب علماء الاقتصاد نظرا لانتهاجه منهج كونت ، هذا بالرغم من ان دوركايم لم يكن مقتنعا بآراء كونت وبضرورة قيام علم الاجتماع واستيعابه لقضايا وموضوعات علم الاقتصاد السياسي . وفي الواقع ، يعد افضل عمل سوسيولوجي لدوركايم تناول فيه بوضوح علم الاجتماع الاقتصادي مؤلفه الشهير «تقسيم العمل في مجتمع» The Division of labour in The Society الذي اشار فيه لسبل واسباب اعادة تنظيم الاقتصاد ، للتخلي عن الاتجاهات القومية ، والعمل على ضرورة الاهتمام بالتنمية الاقتصادية في المجتمعات الاوروبية. وعموما، تعد اسهامات دوركايم من الاسهامات السوسيولوجية الهامة في تطور نشأة علم الاجتماع الاقتصادي وهذا ما سوف نشير اليه فيما بعد بصورة أكثر تحليلا .

تعتبر اسهامات كل من جورج سيمل G. Simmel وفالفريدو باريتو V. Pareto ، وثورستاين فبلن T. Veblen من الاسهامات السوسيولوجية الكلاسيكية التي ساعدت في تاسيس علم الاجتماع الاقتصادي ، حيث يعتبر هؤلاء رواد علم الاجتماع الاقتصادي الكلاسيكي . فلقد نشر سيمل كتابه «فلسفة النقود» Philosophy of Money عام ١٩٠١ واشاد به العديد من رواد علم الاجتماع ولاسيما فيبر ودوركايم وغيرهما . اما باريتو فلقد سعى للتمييز بين علم الاقتصاد الخالص Pur-Economic ، والاقتصاد التطبيقي Applied Economic وعلم الاجتماع ، ووضع عدد من المؤلفات الاقتصادية والسوسيولوجية التي تبرهن على اسهاماته في علم الاجتماع الاقتصادي. وتوضح كتابات «فبلن» أن اهتماماته الاولى كانت اقتصادية بحتة ، ومالبثت ان تركزت أعماله حول علم الاجتماع الاقتصادي ، تلك الاسهامات التي اشاد بها العديد من الرعيل الاول من علماء الاجتماع والمحدثين على حد السواء من أمثال سير رايت ميلز R. Mills ، وتالكوت بارسونز T. Parsons وروبرت ميرتون R. Merton وغيرهم .

كما شهدت فترة العشرينات من القرن الحالي ، تطورات علمية هامة سهمت في تاسيس علم الاجتماع الاقتصادي ، خاصة بعد ان اعقبت مرحلة نهاية الحرب العالمية الاولى نشأة مجموعة من فروع كل من علم الاقتصاد

Scanned by CamScanner

والاجتماع · وظهرت عناوين جديدة تعالج الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في نفس الوقت مثل دراسة علم الاجتماع الصناعى Industrial Sociology وسوسيولوجيا المهن Sociology of Profession ، ودراسات الطبقات Strification Studies وغيرها من الفروع التى لم تعالج الظواهر الاقتصادية بمفردها ·

٢ ـ الفترة الثانية (١٩٣٠ ـ ١٩٦٠) :

حدث خلال هذه الفترة بعض التطورات العلمية الهامة التى صاحبت فى الواقع تطور علم الاجتماع ذاته ، وانتشار نظرياته بالرغم من تباينها الايديولوجى · وان كان قد عكس هذا التباين العديد من الاختلافات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية سواء داخل علم الاجتماع نفسه أو علاقته ببعض العلوم الاجتماعية ولاسيما الاقتصاد والسياسة · وتبرز بداية عقد الثلاثينات بعض الشواهد على ذلك عندما نحلل العلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد على وجه الخصوص ، واثر تلك العلاقة على تطور الاجتماع الاقتصادى · فلقد كانت لآراء «باريتو» ، التى قد ظهرت فى العقد السابق (العشرينات) تاثيرات واضحة على ضرورة فصل كل من علم الاجتماع والاقتصاد كعلمين مميزين ومنفصلين كل منهما عن الاخر · وجاءت تلك الفكرة لباريتو من خلال تحيزه لعلم الاقتصاد ، على أنه العلم الذى يدرس السلوك العقلانى Rational behavior ، أما علم الاجتماع فيدرس السلوك اللاعقلانى Irrational behavior ، ولهذا السبب زاد من تجاهل الكثير من علماء الاقتصاد لموضوعات علم الاجتماع ومجالاته المختلفة·

وتستمر عملية تجاهل كل من علماء الاقتصاد والاجتماع ونمو حركة العداءات بينهم خلال عقد الاربعينات ، وهذا ما اشار اليه بوضوح جوزيف شومبيتر فى كتابه تاريخ التحليل الاقتصادى(١١) History of Economic Analysis · فبرغم أن علم الاجتماع والاقتصاد منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ظهرا كعلمين منفصلين الى حد ما ، وحدث نوع من التقارب بينهما فى أواخر القرن التاسع عشر ، الا أن فترة الاربعينات تعكس مدى اعتزاز كل من علماء الاجتماع والاقتصاد بمجالاتهم الضيقة ،وركزوا جهودهم على تحليل سواء علم الاجتماع البدائى ، أو علم الاقتصاد البدائى ،دون الاهتمام بالنتائج العلمية التى يمكن أن يكسبها العلمين معا عندما يحدث بينهما تقاربا وتفاهما مشتركا ·

Scanned by CamScanner

كما شهدت فرنسا في الفترة منذ اواخر العشرينات وحتى الاربعينات مجموعة من العلماء الذين يشكلون المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع الاقتصادى ومن ابرزهم فرنسس سيماند F. Simiand ، وسلتن بوجلى C. Bougle ومارسى هلبوش M. Halbwachs ومارسيل موس M. Mauss وغيرهم ، من العلماء الذين اعتنقوا افكار المدرسة الدوركيمية ، ووجدت معظم أعمالهم في بعض الدوريات السوسيولوجية المتخصصة مثل Anee Sociologique والتى نشرت كثيرا لموضوعات علم الاجتماع الاقتصادى Sociologie Economique

وبالرغم من اهتمامات علماء المدرسة الفرنسية والاوروبية بموضوعات علم الاجتماع الاقتصادى ، الا ان مرحلة الركود العلمى او اضمحلال العلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد ظلت مستمرة وحتى الخمسينات . فلقد سعى علماء الاقتصاد بدراسة المشاكل الاقتصادية بصورة مجردة وبعيدا عن الاهتمام بالقوى الاجتماعية ، كما سعى علماء الاجتماع بدورهم بتجاهل القوى الاقتصادية عند تحليلهم للمشكلات الاجتماعية .وفى اواخر الخمسينات حدث تغير ملحوظ فى المكانة العلمية لعلم الاجتماع ، خاصة بعد ان احتلت الولايات المتحدة دور اوروبا واصبحت مركزا للعلوم الاجتماعية ،وحدث الكثير من التقارب والتعاون بين كل من علماء الاجتماع والاقتصاد .وان كان ذلك ، لا ينفى وجود العديد من التحليلات السوسيولوجية للمشكلات والموضوعات الاقتصادية التى ظهرت فى اوروبا خلال هذه الفترة وخاصة فى اعمال عالم الاقتصاد الشهير «كينز» وغيره من انصار مدرسة استكهولم Stockholm School ، مثال ذلك كتاب ادولف لوى A. Löwe ، عن «الاقتصاد والاجتماع» الذى نشر عام ١٩٣٥ .

قبل الاشارة الى اسهامات علماء الاجتماع فى الولايات المتحدة وتحديثهم لموضوعات علم الاجتماع الاقتصادى خلال الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠ ، نود أن نضيف ايضا بصورة موجزة ، بعض التحليلات السوسيولوجية لعلماء الاجتماع الذين ظهروا فى اوروبا خلال تلك الفترة ، بالاضافة الى انصار بدرسة استكهولم .فلقد ظهرت اعمال ليبولد فان ويس L. V. Wiese ،واهمها مقالته عن «النظرية الاقتصادية وعلم الاجتماع الاقتصادى» Economic Theory and Economic Sociology كما ظهرت مجموعة من علماء الاجتماع البارزين ابان تلك الفترة ، وحاولوا أن يستخدموا المنظورات السوسيولوجية

Scanned by CamScanner

فى تحليل تاريخ الفكر الاقتصادى ، وتطوير ميادين علم الاجتماع الاقتصادى واهتماماته المختلفة . وقد تمثلت هذه التحليلات فى اعمال كارل مانهايم K. Mannheim وتوينز Tonnies ، وسومبارت Sombart وغيرهم من رواد المدرسة الالمانية التاريخية Germany Historical School . ويعد كتاب مانهايم عن«الانسان والمجتمع فى عصر اعادة البناء» Man and Society in an Age of Reconstruction احد المؤلفات الهامة التى عالجت قضايا سوسيولوجية واقتصادية فى علم الاجتماع الاقتصادى وخاصة سياسات عدم التدخل Laissez Faire ، والتخطيط الاقتصادى Economic Planning .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، شهدت اوروبا بعد التغيرات فى مجال دراسات علم الاجتماع الاقتصادى ، وظهرت بعض الاعمال خلال الخمسينات واوائل الستينات ، ولكن معظم تلك الاعمال ، ركزت حول المناقشات العامة للنظرية الاقتصادية فى مقابل علم الاجتماع ، واستخدام التحليلات السوسيولوجية لدراسة تاريخ النظرية الاقتصادية . ولقد تمثلت تلك الاعمال فى كتابات تشارلز بتلهايم C. Bettelheim وارموند كيفلير A. Cuvillier وجويفريد يسرمان G. Eisermann ، وولير Weiller الذين اهتموا بتحليل دراسات باريتو وشومبيتر رواد المدرسة التاريخية عامة.

وفى الولايات المتحدة ، فلقد شهدت تلك الفترة تطورات متعددة ليس فقط فى مجال علم الاجتماع ، ولكن فى مجال العلوم الاجتماعية كلها كما اشرنا الى ذلك سالفا . وظهر نوع من التقارب الفكرى بين علماء الاقتصاد والاجتماع للاستفادة من الخبرات المهنية والنتائج العلمية لكل منهما . ومن بين علماء الاجتماع نجد وليم أوجبرن F. Ogburn وتالكوت بارسونز T. Parsons ، وعلماء الاقتصاد نجد فرانك نايت F. Knight على وجه الخصوص ، الذى كان له خبرة علمية كبيرة بالعديد من العلوم الاجتماعية الاخرى . ويعتبر التعاون العلمى المشترك بين كل من بارسونز ونايت احد الامثلة على تقارب كل من علمى الاجتماع والاقتصاد خلال تلك الفترة، حيث وجدا من تحليلات فيبر وكتاباته حول علم الاجتماع الاقتصادى لقاء مثمرا بينهما منذ بداية الثلاثينات. كما كان لترجمة «نايت» كتاب فيبر عن التاريخ الاقتصادى العام(١٢) General Economic History توجيها مباشرا لعلماء الاقتصاد ، بضرورة الاهتمام بدراسة تطور وتاريخ النظم الاقتصادية فى المجتمعات البشرية .

Scanned by CamScanner

علاوة على ذلك ، شهدت فترة الثلاثينات والاربعينات اهتمامات تالكوت بارسونز سواء مع «فرانك نايت» ، وأودلف لوى وغيرهم من علماء الاقتصاد حيث نشرت مجموعة من المقالات التى توضح مدى علاقات التعاون المتبادل بين كل من علمى الاقتصاد والاجتماع . ولقد ظهرت تلك المقالات فى بعض الدوريات العلمية المتخصصة مثل The Quarterly Journal of Economics حيث استخدم بارسونز بعض الاصطلاحات مثل «الاقتصاد الامبريالى» Imperialism Economic والذى انتقل بعد ذلك للعديد من علماء الاقتصاد من امثال رالف سوبتر R. Souter . اما خلال الخمسينات ، فلقد خفت عملية التفاعل المشترك بين علماء الاقتصاد والاجتماع بالمقارنة بالفترة السابقة ، مع وجود بعض الاستثناءات العلمية بينها ، كما حدث ذلك بوضوح فى جامعة هارفارد Harvard University بين عدد من علماء الاجتماع من امثال بارسونز وفرنسيس سيتين F. Sutton ونيل سملسر N. Smelser وبين علماء الاقتصاد مثل جيمس ديسنبرى J. Duesenberry . وعمود اثمر هذا التعاون لتدريس احد المقررات العلمية فى جامعة هارفارد فى الفترة مابين (١٩٥١/ ١٩٥٦) بعنوان التحليل السوسيولوجى للسلوك الاقتصادى The Sociological Analysis of Economic

وتعد أيضا ، محاضرات مارشال Marshall Lectures التى قام بالقائها بارسونز بجامعة هارفارد عام ١٩٥٣ احدى الاسهامات السوسيولوجية الهامة لعلم الاجتماع الاقتصادى (والتى لم تكتشف وتنشر الا مؤخرا فى عام ١٩٨٨)(١٥) . حيث سعى بارسونز ليحاضر لطلاب علم الاقتصاد والاجتماع معا بجامعة هارفارد ، ويحلل العلاقة بين كل من النظرية الاقتصادية Economic Theory والنظرية السوسيولوجية Sociological Theory ومدى امكانية تحقيق التكامل بينهما، عند دراسة البناءات والنظم الاجتماعية فى المجتمع الحديث . وعلى أية حال ، سوف نشير مرة اخرى لاهمية تلك المحاضرات خاصة عند تحليل اسهامات بارسونز ورواد المدرسة الامريكية فى علم الاجتماع الاقتصادى فى الفصول القادمة .

كما يعتبر كتاب «الاقتصاد والمجتمع» Economic and Society الذى شعه بارسونز بالاشتراك مع سملسر احد الاعمال السوسيولوجية فى مجال علم الاجتماع الاقتصادى والذى نشر عام ١٩٥٦ ، واهتمامه بمعالجة النظرية سوسيولوجية وعلاقاتها بالقضايا الاقتصادية ، وتحليل الاقتصاد كنظام

Scanned by CamScanner

اجتماعى ، وطبيعة البناءات والنظم الاقتصادية ، والعديد من العمليات الاقتصادية وأسسها الاجتماعية مثل الاستهلاك ، والاستثمار ، بالاضافة الى تحليل مشكلات النمو والتغير الاقتصادى وغيرها من القضايا والموضوعات الاقتصادية المختلفة . وعموما ، يمكن القول بأن تلك الفترة (٣٠ ـ ١٩٦٠) من خلال القرن الحالى شهد علم الاجتماع الاقتصادى الكثير من الانجازات نتيجة لاسهامات علماء الاجتماع وتقارب وجهات النظر بينهم وبين علماء الاقتصاد سواء فى أوروبا او الولايات المتحدة على وجه الخصوص . تلك الفترة التى تقلصت فيها حدة الخلافات بين علمى الاقتصاد والاجتماع بالمقارنة بالعقود الاولى من القرن الحالى او القرن التاسع عشر .

(جـ) الفترة الثالثة (١٩٦٠ ـ ١٩٩٤) :

تشهد فترة النصف الثانى من القرن الحالى بعض الخصائص والمميزات العامة ، التى تجعلها تختلف كثيرا عن الفترات السابقة فى مجال تطور العلوم الاجتماعية بما فيها كل من علم الاجتماع والاقتصاد معا. ولقد انعكس هذا التطور بصورة ملحوظة على تطور مجالات وفروع علم الاجتماع المختلفة ومنها بالطبع علم الاجتماع الاقتصادى الذى نهتم به حاليا. ومن بين هذه المميزات نضج النظريات السوسيولوجية والاساليب المنهجية ومحاولة توجيههما لدراسة الواقع الاجتماعى المتغير والمشكلات الاجتماعية المتعددة، وهذا ينطبق ايضا على العديد من العلوم الاجتماعية الاخرى .

كما نلاحظ ايضا، وجود اهتمامات مشتركة بين علماء العلوم الاجتماعية وليس فقط بين كل من الاقتصاد والاجتماع ، والدعوة الى الاستفادة من الخبرات العملية والنظرية التى حققها بالفعل جهود العاملين والمتخصصين بها . كما أصبح المدخل المتعدد Inter-discipinary approach بين العلوم والذى يعد من المداخل الهامة ، التى تسعى اليها جميع العلوم الاجتماعية مماثلة بما حققت العلوم الطبيعية على المستوى النظرى والمنهجى والنتائج الطيبة التى توصلت اليها هذه العلوم الاخيرة. علاوة على ذلك ان الاهتمام بما يعرف بالدراسات المقارنة Comparative studies بين العلوم الاجتماعية والفروع المختلفة لها أصبحت سمة علمية ومنهجية هامة بين المتخصصين فى الوقت الحاضر .

Scanned by CamScanner

وفى اطار تحليلنا لتطور علم الاجتماع الاقتصادى خلال العقود الحالية فلقد حدث تقاربا كبيرا بين علماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة والنفس والتاريخ والجغرافيا والانثربولوجيا للاستفادة من التطورات العلمية ونتائج التخصصات الاكاديمية ، التى حققتها هذه العلوم وفروعها المتعددة . وربما نجد ان أول اعمال سوسيولوجية هامة عالجت القضايا الاقتصادية ظهرت فى عقد الستينات ، عندما نشر عالم الاجتماع الاقتصادى الامريكى نيل سملسر كتابه عن «سوسيولوجيا الحياة الاقتصادية» Sciology of Economic life (١٤) وذلك عام ١٩٦٣ . والذى حاول فيه ان يشير الى تطور علم الاجتماع الاقتصادى وتحليله للعمليات الاقتصادية ، وعلاقة علم الاجتماع بالاقتصاد ودراسة المظاهر السوسيولوجية للتنمية الاقتصادية .

وفى منتصف الستينات ظهر تطور جديد فى ميدان دراسة علم الاجتماع الاقتصادى ، حيث حدث تقارب كبير بين علم الاجتماع والاقتصاد والنفس بصورة خاصة . ونتج عنه ظهور الاقتصاد السلوكى Behavioral Economics الذى اهتم به هربرت سيمون H. Simon ، محاولا تحليل فكرة الروابط العقلانية ، والنظرية السلوكية للمجتمع ، والاتجاهات الحديثة من نظرية التنظيم Organization Theory . وان كان هذا الاتجاه الحديث لم يفلح كلية فى تغيير الاتجاهات الكلاسيكية ، التى تدعو للفصل بين كل من علم الاقتصاد والاجتماع ، نظرا لغياب الحوار المستمر بين هؤلاء العلماء ، مع وجود بعض النزعات المتشددة من علماء الاقتصاد حول سيادة الاقتصاد على العلوم الاجتماعية الاخرى ، وذلك فى اطار ما عرف عموما «بالاقتصاد الامبريالى» ، تلك الفكرة التى نبتت أصولها خلال الخمسينات وامتدت حتى السبعينات والثمانينات ، ومحاولة غزو علماء الاقتصاد علوم القانون ، والتاريخ ، والادارة ، والاجتماع ، والتربية ، وعلم السياسة وغيرهم .

بالرغم من نمو هذه الفكرة (الاقتصاد الامبريالى) ، الا ان هناك عدة محاولات للالتقاء بين علماء الاقتصاد والاجتماع وخاصة من جانب علماء الاقتصاد وعدم تبنيهم للاقتصاد الامبريالى ، ومن هؤلاء العلماء البرت هيرشمان A. Hirshman ، وتوماس سكلنج T. Schelling ، كنث ارو K. Arrow الذين سعوا لضرورة جعل الاقتصاد مرتبطا بعلم الاجتماع والبعد عن كل الاتجاهات العدائية بين العلمين سواء فى مرحلة الاجتماع الكلاسيكى او الاقتصاد الامبريالى .

Scanned by CamScanner

لكن فى مقابل ضغط اتجاه «الاقتصاد الامبريالى» اهتم كثير من علماء الاجتماع بضرورة تحليل الموضوعات والمجالات الاقتصادية المختلفة ، وهذا ما حدث بالفعل خلال السبعينات . حيث ظهرت بعض التحليلات التى لم يعرفها علماء الاجتماع الاقتصادى من قبل مثل دراسة هارسون وايت H. White فى عام ١٩٧٩ عن «الاسواق كبناءات اجتماعية» Markets as Social Structures . وان كانت قد ظهرت مجموعة من التحليلات التى عالجت اقتصاديات دول العالم الثالث ، واقتصاديات عمل المرأة ، والتى جمعت مجموعة من علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتنظيم والادارة. ومن هذه التحليلات ايضا ، كتاب فرد بلوك F. Block عن أصول الاقتصاد العام (١٩٧٧) ولويس تيللى L. Tilly ، وجون سكوت J. Scott عن المرأة والعمل والاسرة (١٩٧٨) ، وهارى ماكلر H-Makler ، والبرت مارتيللى A. Martinelli ، ونيل سملسر N. Smelser عن الاقتصادى العالمى الجديد (١٩٨٢) ، وايفر بيرج I. Berg عن المنظورات السوسيولوجية لسوق العمل (١٩٨١) وغيرهم .

- فى الواقع ان عقد السبعينات والثمانينات شهد الكثير من التحليلات النظرية ،التى اسهمت فى اعادة وتنظيم الاطار النظرى الذى يوجه المجالات والتحليلات المختلفة لعلم الاجتماع الاقتصادى ، ومحاولةللدخول فى دراسة القضايا والمشكلات الاقتصادية المعاصرة ، ولاسيما الاقتصاد العالمى ، ودور المرأة فى الاقتصاد ، واسواق العمل ، والاسواق المالية.وتمثل تلك القضايا نوعا من التفاعل بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة . كما كان لتطور الاساليب المنهجية الرياضية والاحصائية التى استخدمها علم الاجتماع العام ، وتحديث النظريات السوسيولوجية المختلفة دفعة قوية نحو تطوير وتحديث علم الاجتماع الاقتصادى فى الوقت الحاضر .

- كما شهد عقد الثمانينات مجموعة من المداخل والمنظورات الحديثة التى توضح العلاقة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد ومن أهم هذه المداخل(١٥) : المدخل الاقتصادى (الاقتصاد الامبريالى) ـ الذى اشرنا اليه سابقا ـ (٢) المدخل البنائى الفردى The Structural-Individual Approach (٣) مدخل الاقتصاد السياسى الجديد The New Political Economy Approach (٤) مدخل السوسيو-اقتصادى The Socio Economic Aproach ـ تلك المداخل التى تبرعن على التقارب الشديد

Scanned by CamScanner

الاقتصاد والاجتماع فى الوقت الحاضر والتى تعزز من مجالات علم الاجتماع الاقتصادى ، ولاسيما على مستوى النظرية التى تعالج هذه المجالات.كما اهتم بها علماء الاجتماع المعاصرين البارزين من امثال انطونى جدينجز A. Giddebgs ، والتى ظهرت فى احدى مقالاته الحديثة عن «النظرية الاجتماعية ومشكلات الاقتصاد العام» ، الذى يوضح فيها الى اى حد يمكن استخدام النظرية السوسيولوجية فى معالجة العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية ولاسيما استخدام ما يعرف بنظريات التوقعات العقلانية Rational Exection Theories .

بالاضافة الى ، تلك التحليلات الحديثة التى ظهرت فى علم الاجتماع الاقتصادى خلال السبعينات والثمانينات ، فلقد ظهرت مع بوادر السنوات الاولى من عقد التسعينات مجموعة من التحليلات السوسيولوجية التى تعطى اهتماما كبيرا الى علم الاجتماع الاقتصادى الجديد.ومن اهم هذه التحليلات كتاب الاقتصاد والمجتمع الذى قام بتجميعه كل من عالمى الاجتماع الاقتصادى الامريكى نيل سملسر N. Smelser ، والبرتو مارتنيللى Martinelli ونشر عام (١٩٩٠) والذى يشير الى قضايا حديثة مثل المضمون النظامى والثقافى للاقتصاد ،والايديولوجيا والنشاط الاقتصادى ، والتعاون الاقتصادى والتنمية الاقتصادية ، والاسواق والدولة ، والشركات متعددة الجنسيات ، وهجرة العمل الدولية وغيرها . كما نشر فى نفس العام (١٩٩٠) احد الكتب الهامة الذى قام باعداده عالم الاجتماع الاقتصادى السويدى ريتشارد سويد بيرج R. Swedberg بعنوان «الاقتصاد والمجتمع» لاستطلاع آراء اكثر من خمسة عشر عالما من علماء الاجتماع والاقتصاد حول العلاقة بين علم الاجتماع والاقتصاد فى الوقت الراهن . وفى عام (١٩٩١) قام «سويد بيرج» ايضا بتحليل سوسيولوجى جديد لافكار جوزيف شومبيتر ،عن الاقتصاد والاجتماع الرأسمالى كمحاولة جديدة لتحديث العلاقة بين علم الاقتصاد والاجتماع بصورة خاصة(١٧) . وعموما ، تلك اهم التطورات التى ادت الى نشأة علم الاجتماع الاقتصادى خلال القرن الحالى ، والتى اشارت الى التحليلات التى ربطت بهذا الفرع الحديث من علم الاجتماع منذ القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين .

١) تعريف علم الاجتماع الاقتصادى ومجالاته :

فى اطار تحليلنا للنشأة التطورية لعلم الاجتماع الاقتصادى يجب ان

Scanned by CamScanner

نوضح طبيعة هذا العلم وماديته باعتباره احد الفروع الرئيسية لعلم الاجتماع وتفسير اهم المفاهيم المتعلقة به ، خاصة وان حقيقة النشأة التطورية له كشفت عن كثير من التغيرات التى حدثت بالفعل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر . كما ارتبطت تلك التغيرات بنوعية العلاقة المتباينة بين كل من علم الاجتماع والاقتصاد على وجه الخصوص وبالعلوم الاجتماعية عامة . كما كشفت تلك العلاقة ونوعية التحيزات عن استحداث كثير من النظريات والاساليب المنهجية التى اسهمت فى تطوير وتحديث مجالات علم الاجتماع الاقتصادى . وعلى اية حال ، سوف نشير حاليا وبصورة موجزة ،لتحديد مفهوم علم الاجتماع الاقتصادى وتعريفاته ،والمناهج السوسيولوجية العلمية التى يستخدمها فى تحليل موضوعاته وقضاياه المختلفة . .

يكشف تحليل تراث نشأة علم الاجتماع الاقتصادى خلال القرن التاسع عشر وحتى العشرينات من القرن الحالى ،عن استخدام مفهوم علم الاجتماع الاقتصادى ، عند عدد من علماء الاجتماع الكلاسيكيين ،لاسيما ماكس فيبر ، واميل دوركايم ، وكارل مانهايم ، وفبلن ، وجوزيف شمبيتر ، علاوة على كارل ماركس . وهذه المرحلة يصفها البعض بمرحلة علم الاجتماع الاقتصادى الكلاسيكى Classical Economic Sociology . فلقد استخدم على سبيل المثال فيبر «علم الاجتماع الاقتصادى» ليحدد طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع والاقتصاد من ناحية ، وليشير بضرورة تبنى داخل السوسيولوجية والتحليلية التاريخية المقارنة لدراسة الظواهر الاقتصادية التى توجد فى المجتمعات البشرية(١٨) . كما سعى دوركايم لاستخدام مفهوم علم الاجتماع الاقتصادى ، ولاسيما فى تناوله لقضية تقسيم العمل Division of labaur. وعلاقتها بنظريته المعروفة عن التضامن الاجتماعى Social Soilidari: . ويشارك كل من ماركس وفبلن الراى حول ضرورة احلال النظريات الاقتصادية الكلاسيكية ، بنظرية اقتصادية حديثة تكون اكثر اهتماما بالاتجاهات السوسيولوجية المعاصرة مثل المادية التاريخية Historical Materialism ، والاقتصاد التطورى Evolutionary Economic . وعموما ،فلقد تم تحديد مفهوم علم الاجتماع الاقتصادى فى اوروبا خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف الخمسينات من القرن الحالى ، كما استخدمه بالفعل الرعيل الاول من علماء الاجتماع(١٩) .

يوضح التحليل التالى مقارنة بين النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية

Scanned by CamScanner

واهتمامات علم الاجتماع الاقتصادى خلال الفترة السابقة ، حيث توجد اختلافات مميزة بينهما من حيث الاهتمامات ، وانماط التحليل للظواهر الاقتصاديه ، والطرق المنهجية المعلمية(٢٠) .

(مقارنة بين النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية وعلم الاجتماع الاقتصادي)

اوجه المقارنة	النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية	علم الاجتماع الاقتصادى
(١) مفهوم الفاعل	- الفاعل معزول (الافراد - اصحاب المال والمصانع)	- الفاعل الاجتماعى (الافراد الجماعات، والمؤسسات)
(٢) مجال الفعل	- اى موقف يتم الاحتيار ، حسب طبيعة الندرة ، وفاعلية الاسواق (الاقتصاد المعزول)	- النظام الاقتصادى جزء من المجتمع (الاقتصاد الاجتماعى)
(٣) انماط الفعل الاقتصادى	- التركيز فقط على الافعال العقلانية مع التاكيد على الاختيار ومستويات الحد الاقصى (العقلانية الشكلية)	- التركيز على الافعال العقلانية ، والانماط الاخرى من الافعال الاقتصادية (العقلانية الاجتماعية والافعال الاقتصاديةالاجتماعية بصورة عامة)
(٤) نتائج الفعل الاقتصادى	- الاتجاه نحو التوازن	- الاتجاه نحو سيطرة كل التوترات والصراع بين المصالح
(٥) وجهة نظر التحليل	- التوصل الى النتائج العلمية (الموضوعية الخارجية)	- التوصل الى النتائج واعضاء المجتمع الداخلية)
(٦) مفهوم الزمن	- الزمن ثابت ومرتبط فقط بالافعال الموجودة (الزمن ثابت وتكيفى)	- الزمن متغير ويستخدم كعنصر هام فى التحليل (الزمن السوسيو - تاريخى)
(٧) المنهج العلمى	- التنبؤات تقوم على التجريد المثالى (التنبؤات المجردة)	- الوصف والتفسيرات تعتمد على التجريدات المعدلة امبريقيا (التفسير والوصف الامبريقى)

Scanned by CamScanner

يوضح هذا الشكل ، الكثير من جوانب تعريف علم الاجتماع الاقتصادى وتميزه عن النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية ، التى تعالج النظام الاقتصادى بعيدا عن المجتمع الذى يوجد فيه . اما علم الاجتماع الاقتصادى ، ينظر الى الاقتصاد على انه نسق اجتماعى مثل بقية الانساق المجتمعية الاخرى . ويعتبره جزءا تابعا للنسق الاجتماعى العام ، كما يعطى مزيدا من الاهتمام للظواهر والقضايا الاقتصادية وعلاقاتها بذلك النسق العام والفروع التابعة له . ومن مظاهر الاختلاف بين النظرية الاقتصادية وعلم الاجتماع الاقتصادى ايضا حول الفعل الاقتصادى Economic Action ، حيث تعتمد الاولى على الافراد واصحاب رؤوس الاموال والمصانع ، وتحليلهم على انهم وحدات منفصلة او معزولة عن الواقع الاجتماعى وتوجيههم فقط نحو تحقيق الحد الاقصى من المنفعة Utility . اما التصور السوسيولوجى للفاعل الاقتصادى فهو فاعل مجتمعى وهذا ما اطلق عليه «ماكس فيبر» بالفعل الاقتصادى الاجتماعى ، الذى ينتج عن طريقة التفاعل فى المجتمع ويعتبر نتاجا اجتماعيا .

علاوة على التباين والاختلافات الاخرى بين كل من تحديد وتعريف النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية ، التى عاصرت نشأة علم الاجتماع الاقتصادى الكلاسيكى ، نجد متغيرات مثل التحليل ، والزمن ، والمنهجية ، من اهم المتغيرات التى يعتمد عليها الباحثين لتحديد ماهية كل منهما وتطور نشأتهما التاريخية . فالنظرية الاقتصادية تنظر الى التوازن ، والموضوعية الخارجية ، والزمن الثابت ، والتجريد المثالى للظواهر الاقتصادية . فى مقابل ذلك فعلم الاجتماع الاقتصادى ، يركز على تحليل التوترات والصراعات الناتجة عن الاختلاف حول المصالح Intersts والموضوعية الداخلية ، ومفهوم الزمن المتغير ، حيث يعالج تاريخ الظواهر الاقتصادية وتطورها وتفسيرها ووصف مظاهرها بعيدا عن التجريد المثالى وبصورة واقعية امبريقية .

كما شهدت الفترة من الثلاثينات وحتى الخمسينات بعض التغيرات الطفيفة فى مضمون واهتمامات علم الاجتماع الاقتصادى ، ثم ما لبث أن حدث بعض التطورات حول القضايا والمفاهيم التى يستخدمها هذا الفرع من فروع علم الاجتماع . ويمكن ان نصف فترة ما بعد الخمسينات بظهور علم الاجتماع الاقتصادى الحديث The New Economic Sociology الذى

Scanned by CamScanner

نشا خاصة بعد أن أسهمت المدرسة البنائية الوظيفية The Structural Functional School- في تحليل الظواهر الاقتصادية ومعالجة النظريات الاقتصادية بصورة أكثر واقعية ومتنوعة للموضوعات والقضايا التى تهتم بها عادة . كما ساعد فى ذلك الاهتمام ظهور مجموعة من علماء الاجتماع الامريكيين الذين شاركوا بصورة فعالة فى تطور «علم الاجتماع الاقتصادى» الا ان معظم اهتماماتهم كانت تستخدم مفهوم «الاقتصاد أو المجتمع» ، كمفهوم بديل(٢٠) ، لعلم الاجتماع الاقتصادى حتى بداية الثمانينات ، كما حدث ذلك فى معالجات كل من باسونز وسملسر المشتركة فى هذا المجال . اما خلال الثمانينات وبداية التسعينات اصبح استخدام مفهوم «علم الاجتماع الاقتصادى» اكثر تداولا وهذا ما ظهر فى التحليلات الحديثة لكل من سملسر ومارتنيللى ، على سبيل المثال ، ليشارك نفس استخدامات علم الاجتماع الاقتصادى فى اوروبا سواء فى مراحل التطورية الكلاسيكية أو الحديثة وهذا ما سوف نعالجه بصورة أكثر تحليلا فى الفصول القادمة .

وربما يعد افضل تعريف لعلم الاجتماع الاقتصادى ، ذلك التعريف الذى وضعه سملسر فى كتابه «سوسيولوجيا الحياة الاقتصادية» والذى يشير فيه الى أن علم الاجتماع الاقتصادى هو «تطبيق للاطار العام المرجعى ، والتغيرات ، والنماذج التفسيرية لعلم الاجتماع لدراسة الانشطة المعقدة التى تعالج الانتاج ، والتوزيع ، والتبادل ، والاستهلاك للسلع النادرة والخدمات»(٢٢). ويركز هذا التعريف على موضوع علم الاجتماع الاقتصادى الذى ينقسم الى جزئين اساسيين هما اولا النشاطات الاقتصادية بمفردها ، حيث يهتم عالم الاجتماع الاقتصادى بدراسة كيفية بناء هذه الانشطة ودورها فى الحياة الاقتصادية . وما القيم التى تحدد شرعيتها ،وما المعايير والجزاءات والقواعد المنظمة لها . كما يعالج أيضا ، طبيعة التنظيمات الاقتصادية مثل المصانع ، وانساق المركز ، والقوة وعلاقات السلطة ، والانحراف ، والاتحادات وغيرها التى تؤثر فى الانشطة الاقتصادية عموما. ثانيا : يهتم عالم الاجتماع الاقتصادى بتحليل التغيرات السوسيولوجية والعلاقات الاقتصادية المتداخلة بينها ، وموقف المضمون الاقتصادى وغير الاقتصادى للظواهر والمشكلات الاقتصادية وانشطتها المختلفة . كما يحاول الاجابة على عدد من التساؤلات مثل : هل ترتبط الادوار المهنية بطبيعة البناءات والادوار الاسرية فى المجتمع الصناعى ؟ وما هى انواع الصراع

Scanned by CamScanner

السياسى التى تنتج عن العلاقات والنظم الاقتصادية فى المجتمعات المختلفة؟ وما طبيعة أنساق الطبقة التى تنشأ حسب طبيعة انماط النظم الاقتصادية؟. فلقد تؤدى بالطبع الاجابة على ذلك التساؤلات لتناول العديد من المجالات والموضوعات التى يهتم بمعالجتها علم الاجتماع الاقتصادى ، ولاسيما موضوعات مثل الراى العام ، وصراع الادارة والعمال والعلاقة بين الطبقات الاقتصادية ومعالجة علماء الاجتماع لها ككل .

بصورة موجزة ، ارتبط علم الاجتماع الاقتصادى فى الوقت الحاضر بمجموعة حديثة من الموضوعات والقضايا ، التى تعكس نوعية التعريف الحديث له ،والذى يسعى لتحليل الظواهر والنظريات الاقتصادية باعتبارها ظواهر اجتماعية تهتم بمعالجة مشكلات مرتبطة بالنسق السوسيولوجى العام . كما يهدف لاستخدام المنظورات السوسيولوجية لدراسة تلك الظواهر والمشكلات بصورة واقعية امبريقية ، ولقد ساعد فى ذلك ظهور مجموعة جديدة من النظريات والاساليب الميثودلوجية الحديثة .

وعلاوة على الاهتمامات التقليدية التى كان يعالجها علم الاجتماع الاقتصادى قبل الخمسينات والتى اشرنا اليها سالفا ، يمكن أن نوضح أهم الموضوعات والمجالات التى يعالجها حاليا وهى :(٣١)

١ ـ الاستهلاك ، والانتاج ، والاختراعات التكنولوجية ، والاسواق (والعمل ، والمال ، والصناعة ، والمستهلك) .

٢ ـ تاثير العوامل الاجتماعية والاخلاقية على الاقتصاد ، والتنظيمات الاقتصادية مثل (البنوك ، وشركات التامين،والشركات العالمية،والصناعية وغيرها) .

٣ ـ تحليل العلاقة بين الاقتصاد والتنظيمات غير الاقتصادية الاخرى مثل (الدولة والنقابات وغيرها) .

٤ ـ دراسة الطبقات الاقتصادية ، والحياة داخل تنظيمات العمل ، والحراك الاقتصادى ، والمهنى .

٥ ـ معالجة النظريات والايديولوجيات الاقتصادية ، والاتجاهات نحو الاقتصاد ، والمهن الاقتصادية مثل (المستثمرين واصحاب المال والعمل) .

٦ ـ دراسة اقتصاديات الرفاهية ، والنظام الاقتصادى العالمى الجديد ،

Scanned by CamScanner

ومشكلات التضخم ، والعقود ، والقروض والمعونات ، والمال ، والاقتصاد الرسمى وغير الرسمى ·

٧ ـ معالجة قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى دول العالم الثالث مثل الفقر ، والصحة والعلاج ، والتعليم وغيرها من قضايا أخرى ·

كما ساعد على اثراء تلك المجالات وتنوعها فى علم الاجتماع الاقتصادى ظهور عدد من النظريات العامة ، التى امكن استخدامها فى تحليل هذه المجالات الموضوعات المختلفة ، ومن اهم هذه النظريات : النظريات المتوسطة المدى ، وعلم الاجتماع التاريخى ، ونظرية التبعية ، والانساق ، والنظرية الماركسية المحدثة ، ونظرية النوع (الجنس) ، والاتصال ، والاجتماع الرياضى ، والاثنوميثودلوجية ، ونظرية الفعل ، والاقتصاد السياسى ، والتحول المؤسساتى ، ونظرية اللعب ، والنظرية النيوكلاسيكية (الاقتصادية) ونظرية التنظيم ·

بالاضافة الى ذلك ، لم يقتصر سعى علماء الاجتماع الاقتصادى لتناول تلك المجالات الحديثة ، والتى تكشف عن دخول هذا الفرع الحديث فى جوهر الظواهر والمشكلات الاقتصادية ، بقدر ما سعى المتخصصون حديثا بفكرة تنوع الاهتمامات والمجالات الحديثة لعلماء الاجتماع والتعاون مع غيرهم من المتخصصين فى العلوم الاجتماعية الاخرى (وهذا ما سوف نشير اليه لاحقا) · كما اهتم علماء الاجتماع الاقتصادى ايضا بالتطورات والتغيرات التى ادت الى ظهور عدد من الفروع الوليدة النشأة لعلم الاجتماع العام · فلقد كان لظهور علم الاجتماع الصناعى،وعلم اجتماع التنمية ، والاجتماع السياسى،وسوسيولوجيا الاسواق،وسوسيولوجيا التربية وغيرها من الفروع الاخرى من اسهامات متعددة على اثراء الموضوعات التى اهتمت بقضايا التنمية الاقتصادية والرفاهية ، وتكاليف الانتاج والاستثمار ورأس المال والعديد من القضايا والمجالات الاخرى ·

هكذا نلاحظ ، ان تحديد مفهوم علم الاجتماع الاقتصادى وتعريفه ارتبط بالنشأة التطورية لهذا الفرع نفسه،فجاءت القضايا التى تم معالجتها خلال القرن التاسع عشر والثلاثينات من القرن الحالى ، لتوضح طبيعة الخلافات الفكرية والعلمية بين كل من علمى الاجتماع والاقتصاد · كما يشير ايضا ، الى فترة ظهور ما يعرف بالاجتماع الاقتصادى الكلاسيكى،ومعاصرته

Scanned by CamScanner

للنظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية ، ونوعية التباين بينهما فى تحليل كل من الافعال والانشطة والموضوعات الاقتصادية ، وسعى علم الاجتماع الاقتصادى للاستفادة من المنظورات السوسيولوجية فى دراسة الظواهر والمشكلات الاقتصادية التى تعتبر جزءا ونتاجا لطبيعة النسق الاجتماعى الاجتماعى العام وهو (المجتمع) . كما شهد نصف القرن الأخير من (القرن العشرين) ، تطورات متعددة فى علم الاجتماع الاقتصادى واستقطابه لمجالات حديثة تمثل جوهر النظريات والظواهر والمشكلات الاقتصادية ، وساعد فى ذلك ظهور العديد من النظريات السوسيولوجية وتحديث الاساليب التيودولوجية العلمية ،وتحليلها لتلك المشكلات بصورة واقعية امبريقية . كما كان لاستخدام الابعاد التحليلية المقارنة بين العلوم الاجتماعية وفروعها المختلفة اثارا ايجابية متعددة الجوانب على تقدم علم الاجتماع الاقتصادى فى الوقت الراهن وهذا ما سوف تكشف عنه تحليلات الفصول القادمة .

(٤) علاقة علم الاجتماع الاقتصادى بالعلوم الاجتماعية الاخرى .

يكشف تحليلنا السابق لكل من تطور علم الاجتماع الاقتصادى ونشاته خلال القرن التاسع عشر وتاسيسه خلال القرن العشرين ، عن الكثير من الموضوعات والمجالات المختلفة التى اصبح هذا الفرع يهتم بتحليلها بصورة عامة . ولقد اسهم هذا التنوع فى المجالات عن وجود علاقات متداخلة سواء بين فروع علم الاجتماع العام . وبين علم الاجتماع الاقتصادى وبين الاخير والعديد من العلوم الاجتماعية الاخرى . على اية حال ، سوف نحاول حاليا تناول بعض العلوم الاجتماعية التى ترتبط مع علم الاجتماع الاقتصادى وتتداخل معه فى نوعية القضايا والمجالات التى يعالجها بالفعل ، والى اى حد ساعدت تلك العلوم فى تطوير وتحديث اهتمامات علم الاجتماع الاقتصادى ، وكيف ادت الى تعزيز طرق واساليب البحث المنهجى والنظرى فى معالجة المجالات الاساسية والمشتركة بين علم الاجتماع الاقتصادى والعلوم الاجتماعية الاخرى ؟ وما هى اهم هذه العلوم بصورة خاصة ؟ .

لكن قبل الاجابة على تلك التساؤلات ، يجب ان نؤكد على حقيقة هامة وهى : ان علاقة علم الاجتماع الاقتصادى بالعلوم الاجتماعية الاخرى لا تبعد كثيرا عن علاقة العلوم الاخيرة بعلم الاجتماع العام ،باعتبار ان علم الاجتماع الاقتصادى يعد احد الفروع الاساسية لهذا العلم . اما تفسيرنا للعلاقة بين علم الاجتماع الاقتصادى وبعض العلوم الاجتماعية فى الوقت الحاضر ،

Scanned by CamScanner

يجب في اطار اهتمامنا بمعالجة القضايا والمجالات الحديثة المتعددة التي تتناولها بالفعل العلوم الاجتماعية وفروعها المتنوعة وتحاليلها للاستفادة من الاهتمامات المشتركة بينهما ، وتحديث هذه المحاولات وتطورها حسب وجهات نظر المهتمين بها وتخصصاتهم المختلفة .

(أ) التـــاريخ .

ارتبط كثير من التحليلات في علم الاجتماع الاقتصادي بكتابات علماء التاريخ على مختلف العصور التاريخية التي اهتموا بمعالجتها بالفعل . كما جاءت معظم الاهتمامات المشتركة بين كل من علم الاجتماع الاقتصادي والتاريخ في اطار اهتمامات علماء التاريخ والمؤرخين بكل من علمي الاجتماع والاقتصاد . ويؤكد على ذلك ، ما تم معالجته خلال هذا الكتاب، عندما تناولنا التفكير الاقتصادي والاجتماعي خلال العصور القديمة ، والعصور الوسطى الاسلامية ، والعصور الوسطى للمجتمعات الاوروبية او مجتمعات ما قبل الرأسمالية(٢٣) . فلقد ساعدت تحليلات علماء التاريخ للكشف عن المزيد من الحقائق التاريخية والاجتماعية والاقتصادية في مصر الفرعونية ، والصين القديمة ، والهند،وبلاد الاغريق وغيرها من المجتمعات البشرية القديمة ، وكيف ارتبط النظام الاقتصادي بطبيعة النظم الاجتماعية والدينية والسياسية . وهذا ينطبق أيضا على مجتمعات العصور الوسطى الاسلامية ، فلقد جاءت المدارس الاولى للاقتصاد في الاسلام بصورة تدريجية تعكس متغيرات العصر الاسلامي الجديد على أنماط توزيع الدخل والثروة، وتنمية النشاط الانتاجي ، وتحديد الملكية العامة والخاصة ، وتنظيم عمليات استغلال الاراضي غير المزروعة ، وعلاقات البيع و الشراء والسوق وتحديدها في ضوء الشريعة الاسلامية .

كما تكشف لنا ايضا ، تحليلات كل من المقريزي وابن خلدون باعتبارهما من مؤرخي الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة الاسلامية في العصور الوسطى ، عن الكثير من الافكار الاقتصادية والاجتماعية وما ارتبطت بهما من أزمات ومجاعات وحالات الرخاء ، والتحول في أنماط المعيشة ، وكيف أدت الظروف والعوامل الاقتصادية والاجتماعية لتغيير العلاقات المجتمعية وبناء الطبقات ، والمهن والحرف وأصحاب المعاشات،والفلح ، وأهل المسكنة وغيرهم من ارباب المهن المختلفة . وربما تعتبر تحليلات «ابن خلدون» لنوعية النشاط الاقتصادي ، وما اسماه بالنشاط الاقتصادي الطبيعي ، وغير

Scanned by CamScanner

الطبيعى ، وتقسيم العمل ، ونظرية القيمة ، والنقود ، والاسعار وعلاقة الاقتصاد عموما بالدولة والسلطة من اهم التحليلات التاريخية ،التى سبق اليها ابن خلدون وكتاباتها فى صورتها الاجتماعية والاقتصادية السياسية الواقعية ، وتركت آثارا متعددة على معرفة الاحوال العامة فى العصور الوسطى الاسلامية .

وتبرهن تحليلات علماء التاريخ للفكر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى على اهمية العلاقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع الاقتصادى ، الذى سعى لمعرفة التطورات الاجتماعية والاقتصادية التى ارتبطت بالفكر الاقتصادى فى مجتمعات ما قبل الرأسمالية وما بعدها حتى الوقت الراهن . كما كانت للنشأة التطورية للمدارس الاقتصادية التى ظهرت ابتداء من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين ، من اسهامات متعددة ومعرفة كيف تبلور الكثير من الافكار والنظريات الاقتصادية من خلال ارتباطها بالواقع الاجتماعى والسياسى والدينى . فنجد على سبيل المثال،كيف ظهرت مدرسة التجاريين فى بريطانيا ، والفيزوقراطيين فى فرنسا ، والى اى حد ارتبطت كل مدرسة بفئة أو طبقة اجتماعية اقتصادية محددة ووجهت آرائها عامة ، لتحقيق مصالح معينة بالذات ؟ . وهذا ينطبق ايضا على تحليلات مدرسة الرواد الاقتصاديين الاوائل عند بيتى ، وكانتيلون ، وترجو ، وهيوم ، وكيف امتزجت آراء هؤلاء الرواد بالكثير من التصورات التاريخية والفلسفية والاخلاقية والدينية فى نفس الوقت . وهذا ما نجده أيضا فى الفكر الاقتصادى الكلاسيكى عند سميث ، وريكاردو ، ومالتوس ، وملّ ، حيث جاءت معظم آرائهم لتعبر عن فكر اقتصادى متطور عن النظريات الاقتصادية اللاهوتية السابقة . كما يصدق ذلك ، عند تحليل الفكر الاقتصادى للمدرسة الاشتراكية والتى نبتت جذورها عند سان سيمون ، واوين ، واخيرا عند ماركس ، كما تطور الفكر الاقتصادى مع أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين عند رواد المدرسة النيوكلاسيكية (المحدثة) عند الفرد مارشال وكينز على سبيل المثال ، لتشير بوضوح عن تطور تاريخى للفلسفات والايديولوجيات العامة للحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . كما تظهر تلك المدارس عن منهج فكرى واضح ومميز،ويكشف عن ظروف العصر المتغير فى نفس الوقت .

وتعتبر تحليلات «ماكس فيبر» عند تناوله لتطور الفكر التاريخى

Scanned by CamScanner

الاقتصادى فى العديد من مؤلفاته السوسيولوجية(٢٤) ، ولاسيما تاريخ الاقتصاد العام General Economic History عن مدى ارتباط الاقتصاد بالمراحل التاريخية التى مرت بها المجتمعات البشرية . كما عالج من منظور سوسيو ـ تاريخى مقارن ، تطور النظ الاقتصادية سواء فى المجتمعات القديمة ، ومجتمعات العصور الوسطى والحديثة . علاوة على تحليل الكثير من العمليات الاقتصادية والمؤسسات المختلفة مثل : النقود ، والاسواق ، والتجارة وطبقة التجار ، والاتحادات التجارية والاقتصادية وغيرها ،وكيف تطورت تلك العمليات والمؤسسات فى اطار المجتمع العام الذى نشات وتطورت فيه . ويبرهن ذلك عموما ، عن العلاقة المتداخلة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع الاقتصادى الذى يسعى للكشف عن الكثير من تلك القضايا فى ضوء اهتماماته الحالية .

علاوة على ذلك ، يجب علينا حاليا الاشارة ، الى مجموعة من كتب ومؤلفات مؤرخى التاريخ الاقتصادى ، التى تعكس طبيعة النشاة التطورية للمفكرين والنظريات الاقتصادية ، وربما يعتبر كتاب جوزيف شومبيتر ، تاريخ التحليل الاقتصادى History of Economic Analysis ، وكتاب روبرت هيلبرونر عن قادة الفكر الاقتصادى ، وكتاب جاكوب روسر ، ووليم بلانشفيلد عن تطور الفكر الاقتصادى The Evolution of Economic Thought أحد الامثلة فقط ، التى توضح للمهتمين بدراسة العلاقة بين التاريخ وعلم الاجتماع الاقتصادى فى معالجتهم للظواهر الاقتصادية(٢٥) . وبدون شك ، نجد الاهتمامات السوسيولوجية الحديثة لكل من تالكوت بارسونز وسملسر Parsons & Smelser خير دليل على ذلك وخاصة عندما أشار الاخير لتطور الفكر الاقتصادى والمدارس المختلفة له فى سوسيولوجيا الحياة الاقتصادية Sociology of Economic life وايضا كتابات كارل بولينى Poline ومارتنللى Martinllei ، وسويدبيرج Swedberg وغيرهم من علماء الاجتماع الاقتصادى المعاصرين .

(ب) السياسة .

يوضح تحليل تراث العلوم الاجتماعية وتطورها ، أن علم السياسة من العلوم التى ترتبط بكل من علم الاقتصاد والاجتماع بصورة مميزة . ويظهر ذلك عندما نشير حاليا الى العلاقة بين علم السياسة وعلم الاجتماع الاقتصادى وان كانت علاقة الاول قد تحدثت أيضا فى العقود الاخيرة عن ظهور فرع

Scanned by CamScanner

علم الاجتماع السياسى ، الذى يوضح الاهتمامات المشتركة بين السياسة وعلم الاجتمـــاع .

كما تكشف دراسة تراث «علم الاقتصاد» أن مفهوم عـلم الاقتصاد ذاته كعلم ، لم يظهر كما هـو فى الاطار الحـديث له ، حيث نرى أن المفهـوم السابق للاقتصاد ، كان يطلق علية عامة «الاقتصاد السياسى» ، وهذا ماظهر بوضوح فى تحليل المدارس والافكار والنظـريات الاقتصـادية ، التى كانت موجودة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فلم يظهر علم «الاقتصاد الحديث» الا مع اواخر العقود الاولى من القرن الماضى وبداية القرن الحالى. ومن ثم ، يصعب من الناحيـة التطـورية التاريخية أن نفصـل بين كل من الاقتصاد والسياسة ، او حتى من الناحية العملية الواقعية فكلاهما (الاقتصاد والسياسة) وجهان لعملة واحدة . ويبرهن على ذلك ، كثـير من النظريات والافكار الاقتصادية ارتبطت بمفهوم الدولة ، وكيانها كمؤسسة اجتمـاعية كبرى ، فجاءت نظريات الرأسمالية وتصوراتها حول ما يعرف بسياسات عدم التدخل Laissez Faire لا تحبز اطـلاقا تدخل الدولة الا فى حـالات الضرورة القصوى ومن أجل حماية المصالح القومية ، وان كان من الصعب فى كثير من الاحيان الفصل بين المصالح الفردية والقومية . أما النظـريات الاقتصـادية الاشتراكية ، بدءا من الاشتراكية الاقتصـادية الخيالية ، حتى الاشتراكية الشـيوعية الماركسية أو النيوماركسية (المحـدثة» ، تركـز على أهمية تدخل الدولة باعتبارها التنظيم السياسى والادارى الاعلى فى المجتمع والذى يجب ان يحمى مصـالح الاغلبية ويضمن عـدالة التوزيع عن طريق الغاء الحريات بما فيها حرية الملكية الخاصة .

كما تعكس دراسة مفاهيم مثل الثروة ، والاقتصاد ، والطبقة ،والسياسة ، والمجتمع ، والسلطة ، والايديولوجية ، وغيرها ، صعوبة تحديد فواصـل معينة عند تحليلها أو فهمها . الامر ، الذى يعبر بوضوح عن العلاقة القوية بين الاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع ، وهذا يجعل اهتمامات كل من علم الاجتمـاع السـياسى ، وعلم الاجتمـاع الاقتصـادى وعلم الاجتماع للتنظيم أو الادارى ، وعلم اجتماع التنمية وغيرها من الصعب أيضا تحليلها بصورة فردية ، دون الالمام بالاهتمامات المشتركة بين تلك الفـروع المختلفة لعـلم الاجتمـاع .

نستشهد على ذلك ببعض تحليلات علماء الاجتماع الاقتصادى من أمثال

Scanned by CamScanner

«نيل سملسر»(٢٦) ، «تالكوت بارسونز» ، «ماكس فيبر» الذين سعوا لتحليل العمليات الاقتصادية من المنظورات السوسيولوجية ، ولكن فى اطارها السياسى والدينى فى نفس الوقت . فدراسة الظواهر الاقتصادية مثل الاستهلاك Consumpations ، والادخار Investment والانتاج Production والفائدة Interst ، والتضخم Inflation من الصعب تحليلها بعيدا عن العلاقات الاجتماعية الموجودة مثل علاقات العمل بين العمال واصحاب العمل ، أو السياسات الحكومية ، او نوعية الطبقات الاجتماعية ، او البناء الايديولوجى السائد وغيرها .

كما يكشف لنا تحليل بعض الظواهر الاقتصادية والسياسية التى ظهرت خاصة عند بداية الخمسينات من هذا القرن عن العلاقة القوية بين علم السياسة وعلم الاجتماع الاقتصادى.وخير مثال على ذلك ، النظام الاقتصادى العالمى الجديد The New International Economic Order ، والشركات متعددة الجنسيات The Multinational Corporations (٢٧) فكلا من الظاهرتين كانتا نتاجا طبيعيا لتغير نمط العلاقات الاقتصادية والانتاج ورأس المال ، والتجارة ، والتوزيع والاستهلاك ، والاستثمار ، عما كانت عليه فى العصور القديمة والوسطى . فطبيعة الحياة العصرية فى المجتمع الحديث والتقدم التكنولوجى والاقتصادى ، ترتب عليها ظهور انماط جديدة من النظم والانساق والمؤسسات والعلاقات الاقتصادية القومية والعالمية . علاوة على ذلك ، دراسة أسباب ظهور كل من النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، والشركات العالمية ، نجد حاليا ما يعرف بالتكتلات الاقليمية والعالمية الاقتصادية مثال ذلك ، «السوق الاوروبية المشتركة» واقليم جنوب غرب آسيا،والتكتلات الاقتصادية الاقليمية فى أمريكا اللاتينية والجنوبية وغيرها. وعموما ، ظهور الاتجاهات التى تعرف حديثا بالتحول نحو العالمية Internationalization ،والتى أصبحت من أهم المجالات الحديثة التى يعالجها علم الاجتماع الاقتصادى وذلك عن طريق الاستفادة من علوم اجتماعية أخرى ولاسيما علم السياسة والاقتصاد . أو ما يعرف «بالاقتصاد السياسى العالمى» . وسوف نشير فى الباب القادم لبعض الظواهر الاقتصادية السابقة ، عندما نتناول أهم المجالات الحديثة غير التقليدية التى يعالجها علم الاجتماع الاقتصادى فى الوقت الراهن .

(ج) الانثربولوجيا .

تعتبر الانثربولوجيا من العلوم الاجتماعية التى ترتبط بعلم الاجتماع

Scanned by CamScanner

بصورة خاصة عن غيره من العلوم الاخرى ، كما تعد من العلوم الاكثر حد
عن علم الاجتماع،كما بدا المتخصصون فيها تناول مجالات متعددة ومشتر
مع بعض فروع علم الاجتماع فى العديد من الموضوعات والقضايا المختلفة
ولقد اشرنا سابقا ، عند تحليل تطور النشاة الاولى لعلم الاجتماع الاقتصادى
ان لاسهامات علماء الانثربولوجيا الاوروبيين والذين ظهروا فى الفترة مابين
العشرينات والاربعينات من هـذا القرن آثارا ايجابيـة على تطـوير عـلم
الاجتماع الاقتصادى ·

ويرى بعض الباحثين الانثربولوجيين ان الكتابات الـوسـيو – انثربولوجية
القديمة والتى تمثلت فى كتـابات مورجـان Morgan وباخوفن Bachofen
وماكلينان Mclennan ولبوك Lubbock ، تعد البدايات الاولى لنشاة علم
الاجتماع الاقتصادى ، خاصة وان تلك الكتابات عالجت الظواهر الاقتصادية
فى المجتمعـات القـديمة ، التى امتزجت كثـيرا بتاريخ تلك المجتمعـات
وتطورها · علاوة على ذلك ، فلقـد سعت تلك التحليـلات لمعـرفة اصـل
الحضارات وتطور المجتمعات من مرحـلة الوحشية Savage Stage ، الى
مرحلة البربرية Barbarian Stage ، ثم مرحلة الحضارة Civilization
Stage · تلك المرحلة التى تقوم على اسس تقسيم العمـل والتى ادت فى
النهاية الى تطور عمليات الانتاج(٢٨) .

كما توضح تحليلات بعض علما الانثربولوجيا من امثال مالينوفسكى ،
ورادكليف براون ، ومارسـيل موس ، وليفى ستروس ، وريمـوند فـيرث
وآخرين ، مدى اهتمام الانثربولوجيا بتحليل النظم الاقتصادية البدائية مثل
علاقات الملكية والميراث ، والتبادل ، والنقود ، والعمل ، واساليب الانتاج
وغـيرها(٢٩) · حيث تكشف تلك التحليـلات تطور هـذه النظم فى ضـوء
الانساق المجتمعية الكبرى التى توجد فيها · فلقد ارتبطت تلك النظم بنوعية
البناءات القبلية والعائلية ، والنظم الدينية والعقـائدية ، ونظم العـادات
والتقاليد الشعبية وغيرها من النظم والانساق الاخرى .

وظهر حديثا احد فروع الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية والذى يطلق
عليه الانثربولوجيا الاقتصادية ، والذى استخدم كمفهوم لاول مرة مع بداية
الخمسينات من هذا القرن ،عندما نشر = سكوتيس كتاب عن «الانثربولوجيا
الاقتصادية» فى عام ١٩٥٢ · ثم استخدم بعد ذلك فى كتابات الكثير من علماء

Scanned by CamScanner

الانثربولوجيا من أمثال دالتون «عن الاقتصاد البدائى والريفى» الذى نشر عام ١٩٦٧ · وان كانت تكشف عمليات التحليل التاريخى لتطور استخدام الانثربولوجيا الاقتصادية واعتبارها موضع جدل وحوار شديد بين العديد من الاتجاهات الانثربولوجية المختلفة(٢٠) ·

وتعد اسهامات كل من المدرسة الالمانية والفرنسية ، التى ظهرت فى الاربعينات ، من أهم الاسهامات التى ساعدت على تطوير استخدام المداخل الاثربولوجية فى دراسة الظواهر الاقتصادية · ومن أهم رواد المدرسة الالمانية نجد فيلهلم كوبر ، وماكس شيبت ، وكارل بوشر ، وهيرمنت ، ولاش ، وغيرهم · أما رواد المدرسة الفرنسية نجد على سبيل المثال،لوسيان ليفى بريل ، ومارسيل موس وآخرون اسهموا كثيرا فى تحديث موضوعات علم الاجتماع الاقتصادى،والاستفادة من المداخل الانثربولوجية التى عالجت العديد من الظواهر والمشكلات الاقتصادية وخاصة فى المجتمعات البدائية القديمة ·

عموما ، ان اهتمامات «الانثربولوجيا» التى تمثلت مؤخرا فى أحد فروعها وهى «الانثربولوجيا الاقتصادية» ساعدت على تطوير مجالات علم الاجتماع الاقتصادى · وقد لا تختلف كثيرا أساليب التحليل وطرق وأدوات البحث التى ينتهجها كل من علماء علم الاجتماع والانثربولوجيا فى تحليلهم للظواهر الاقتصادية والمجتمعية · كما يحاول كل منهما دراسة الجذور التاريخية والتطورية لنشاة هذه الظواهر وتفسيرها فى ضوء العوامل الثقافية ، والدينية العقائدية ، والسياسية التى توجد بها · وان كنا نلاحظ أن علم الاجتماع الاقتصادى يتميز عن الانثربولوجيا خاصة وأن الاول سعى لاستخدام المنظورات السوسيولوجية المقارنة مع دراسة للظواهر الاقتصادية وتحليلها عبر الثقافات والحضارات ، والمجتمعات البشرية · وهذا ما ظهر على سبيل المثال عند معالجة ماكس فيبر ، لتطور النظم الاقتصادية ، ولاسيما تحليلاته حول نشاة الرأسمالية وعلاقاتها بالاخلاق البروتستانتية (الكالفينية) على وجه الخصوص · علاوة على استخدامه لعلم الاجتماع الدينى ، وعلم الاجتماع التاريخى فى دراسة علم الاجتماع الاقتصادى وتحليل العلاقة السببية بين الظواهر الاقتصادية والمجتمعية · وهذا ماسوف نوضحه فى الفصول القادمة ·

Scanned by CamScanner

(د) عـــلم النفس .

ظهرت منذ بداية الخمسينات من هذا القرن علاقات قوية بين علم النفس وعلم الاجتماع ، وأثمرت عن وجـود «عـلم النفس الاجتماعى» باعتبـاره نقطة التقاء اهتمامات المتخصصين فى كل من العلمين السابقين . ومع زيادة الاتجاه نحو التخصص العلمى ، وتنوع الاهتمامات والمجالات ، التى يسعى كل منهما لدراستها وتحليلها ، ظهرت ايضا مجموعة من العلوم الفـرعية الاخرى مثل «علم النفس الصناعى» ، «وعلم الاجتماع الصناعى» وغـير ذلك من فروع متعددة حديثة . وفى اطار تحليلنا للعـلاقة بين علم النفس وتطور نشأة علم الاجتماع الاقتصادي ، تلك العلاقة التى لا تبعد كثـيرا عن موضع الاهتمامات التقليدية لكل من علم النفس والاجتماع ، نلاحـظ فى الواقع ، تزايد اتجاه العلماء نحو التخصصات المختلفة والفرعية فى السنوات الاخيرة ، ومعالجة عـلم النفس لقضايا وموضـوعات متنوعـة تستفيد منها الفروع الحديثة لعلم الاجتماع مثل (علم الاجتماع الاقتصادى) .

يبرهن على ذلك ، اهتمامات بعض علمـاء الاجتماع والمهتمين بعـلم الاجتماع الاقتصـادى من امثـال «تالكوت بارسـونز» الذى سـعى لتحليل الاقتصاد كنسق اجتماعى Social System يرتبط ببيئة الانسان المجتمعية الاخرى . ودراسـة الاقتصاد كعـلم اجتمـاعى Social Science يعـالج العديد من المظاهر غير الاقتصادية Non-Economic Aspects تلك المظاهر التى تندرج تحت اهتمامات علوم أخرى ولاسيما التاريخ والاجتماع وعـلم النفس(٢١) . فنجده على سبيل المثال ، يتتبع مدى اهتمام علماء الاقتصـاد أنفسهم بالتحليلات والمداخل السيكولوجية علاوة على المداخل السوسيولوجية الاخرى . فيشير الى كتابات عالم الاقتصاد الشهـير جـون كينز J. Keynes ونظرياته الاقتصادية سواء أكانت عن النقود ، أو المال ، أو الاسـتهلاك ، أو الادخـار وغـيرها ، التى تحمـل الكثـير من المتغـيرات السيكولوجية Psychological Variables . ومن ثم ، فان النظرية الاقتصـادية العامة عند كينز ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظرية والانساق الاجتماعية The Theory of Social Systems والتى تتضمن العديد من المحكات السيكولوجية .

كما نلاحظ ايضا ، أن تحليلات الفرد مارشال A. Marshall عن ما اسماه بالسلوك الاقتصـادى العقـلانى Rational Economic behaviour ، سواء

Scanned by CamScanner

نسبه للمستهلكين أو المنحين ، يعد احد الاهتمامات الاقتصادية الهامة التى استخدم فيها علماء اقتصاد من امثال مارشال او كينز المداخل السيكولوجية فى تفسير الظواهر الاقتصادية(٣٢) . حيث ربط بين طبيعة السلوك الاستهلاكى واذواق المستهلكين وعمليات الانتاج،وقوة الشراء.وهذا ما يرتبط أيضا عندما تحلل ظواهر اقتصادية باخرى مثل الادخار ، والاستهلاك والدخل ، ومستويات الانفاق ودرجات الاشباع وغيرها ، حيث يصعب تفسيرها بعيدا عن ما أسماه بارسونز سابقا بالجوانب غير الاقتصادية للظواهر الاقتصادية .

يؤكد ذلك ، تعريف علم الاقتصاد ذاته . حيث يعتبر(٣٣) «العلم الذى يدرس السلوك البشرى Human behaviour » والعلاقة بين الغايات والموارد النادرة وطبيعة الاستخدامات البديلة لها ويشير هذا التعريف الى كيفية النشاة الاولى لعلم الاقتصاد السياسى واعتباره نظرية للفعل البشرى Theory of Human achtion ، وظهر ذلك بوضوح فى افكار المدارس الاقتصادية الكلاسيكية . كما يحدد علم الاقتصاد الحديث اهتمامه بدراسة السلوك العقلانى الذى يمكن تفسيره فى ضوء العوامل والظروف الاقتصادية، والاجتماعية ، والسيكولوجية والتاريخية .

هذا ما تعكسه بالفعل كتابات بعض علماء الاقتصاد الكلاسيكيين مثل تحليلات «سميث» فى «ثروة الامم» ، التى تشير الى متغيرات سيكولوجية متعددة مثل الدوافع Motivation ، وعلاقتها بتحقيق الربح ، السعى نحو العمل ، والطموح ، والانجاز،والجشع ، والمصالح الذاتية الفردية وغيرها. تلك المتغيرات التى ترتبط بطبيعة السلوك والفعل البشرى ، والتى تفسر ايضا مستويات الانجاز،وزيادة الانتاجية،والعلاقة بين الطبقات الاجتماعية بصورة عامة . ويمتد هذا التحليل والاهتمام فى جميع المدارس الاقتصادية والاجتماعية ، التى ظهرت خلال القرن التاسع عشر ، وحتى المدارس الاقتصادية الحديثة فى الوقت الراهن ، والتى ساعدت على تطور علم الاجتماع الاقتصادى ، مثال ذلك تحليلات جوزيف شومبيتر J. Schumpeter حيث جاء الكثير منها يؤكد على الابعاد السوسيولوجية والسيكولوجية ،خاصة عند اهتمامه بما يعرف بسيكولوجيا المنظم Psychology of Entrepreneurship الذى يشمل مجموعة مختلفة من السلوك العقلانى والعاطفى معا ، ذلك الاهتمام الذى يشاركه فيه كل من فيبر Weber ، وباريتو Parito

Scanned by CamScanner

وسمبارت Sombart وتوينز Tonnies ، عند تحليلهم باساليب مختلفة لقضية النفعية العقلانية الراسمالية(٢٤) .

بايجاز ، ان علاقة علم النفس بعلم الاجتماع الاقتصادى ذات اهمية خاصة تظهر عندما نحلل الظواهر الاقتصادية في ضوء كل من المتغيرات الاقتصادية وغير الاقتصادية الاخرى . وهذا ما يظهر جليا فى دراسة قضايا وموضوعات حديثة يعالجها علم الاجتماع الاقتصادى مثل «سوسيولوجيا الاسواق» Sociology of Markets او الشركات متعددة الجنسيات وتاثيرها على اذواق المستهلكين واستخدامها للمداخل السيكولوجية فى الدعاية والاعلان والتاثير على القوة الشرائية للمستهلكين او ما يسمى «بسيكولوجية الاعلان» سواء فى المجتمعات المتقدمة والنامية . وان كانت تظهر تلك الآثار بصورة مميزة فى الدول الاخيرة ، حيث تلعب الشركات العالمية دورا قويا فى التاثير على المستهلكين المتعطشين لهذه المنتوجات تحت ما يعرف باثار التظاهر الاجتماعى Social Demonistration (٢٥) . وعموما، توجد الكثير من التطورات الحديثة التى طرات على علم الاجتماع الاقتصادى فى السنوات الاخيرة ، واستفاد بها كثيرا من استخدام المداخل السيكولوجية او الموضوعات التى يطرحها أو يعالجها علماء النفس فى الوقت الحاضر .

(هـ) الجغرافيا .

ترتبط الجغرافيا بالعلوم الاجتماعية مثل الانثربولوجيا ، والسياسة ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع وتعالج بعض فروعها المتخصصة مجموعة من الاهتمامات المشتركة بينها وبين تلك العلوم . وهذا ما يظهر على سبيل المثال فى دراسة الجغرافية البشرية وعلاقتها بعلم اجتماع السكان أو بين الجغرافيا الاقتصادية وعلم الاجتماع الاقتصادى . ودون الخوض فى اهتمامات الجغرافيا كعلم عام ، نشير الى أهمية الجذور التاريخية بين الجغرافيا وعلم الاجتماع،والى التطورات الحديثة التى تربط بين الجغرافيا الاقتصادية كنوع متخصص فى المجالات الاقتصادية وبين علم الاجتماع الاقتصادى الذى يعد موضوع اهتمامنا الحالى .

تكشف تحليلات علماء الاقتصاد فى القرن التاسع عشر عن اهتماماتهم بطبيعة وقضايا الجغرافيا ، وخاصة العلاقة بين الموارد وللغذاء والسكان . وهذا ما ظهر بوضوح فى تحليلات كل من ديفيد ريكاردو وروبرت مالتوس.

Scanned by CamScanner

خاصة بعد أن أشار الاخير الى تلك العلاقة بصورة تشاؤمية مازالت تشغل الكثير من المهتمين بتفسير هذه العلاقة حتى الوقت الحالى : وان كنا نلاحظ انتقادات كثيرة من جانب المتخصصين فى مجال الجغرافيا الاقتصادية(٣٦) وجهت لعلماء الاقتصاد السياسى الكلاسيكى من امثال آدم سميث أو الى رواد المدرسة الاقتصادية النيوكلاسيكية مثل بيجو Pigou او كينز ، نظرا لاهمالهم العوامل الجغرافية وتاثيرها على العوامل الاقتصادية والظواهر المرتبطة بها . فلقد خلت تحليلات هؤلاء الرواد من الاشارة لهذه العوامل الجغرافية بصورة عامة .

وتركز الجغرافيا الاقتصادية باعتبارها احد فروع الجغرافيا البشرية، على دراسة الموارد الطبيعية للارض وتوزيعها ، وتبديلها أو تحويلها الى موارد اقتصادية مستهلكة . كما تهتم بمعالجة العلاقة بين الموارد الاقتصادية ونوعية النشاط الانسانى الذى يقوم بتحويلها عن طريق عمليات الانتاج ، والتبادل ، والاستهلاك . كما تهتم ايضا بدراسة عناصر الانتاج المختلفة التى تنقسم الى : انتاجات أولية ، وثانوية ، اى الخدمات المرتبطة بالانتاج . كما أن هناك من يصنف فروع الجغرافيا الاقتصادية الى جغرافيا اقتصادية اجتماعية ، واقتصادية أصولية ، واقتصادية طبيعية(٣٧) .ويلاحظ أن النوعين الاولين ، يرتبطان بصورة مباشرة باهتمامات علم الاجتماع الاقتصادى ، حيث يعالجها التطور التاريخى للاقتصاد السياسى للمجتمعات البشرية والسكانية ، ثم الانشطة الاقتصادية المختلفة للانسان مثل الانتاج ، والتوزيع ، والاستهلاك ، وراس المال ، والعمل ، وغيرها .

كما يلاحظ أيضا نوع من التقارب فى بعض مناهج الدراسة بين الجغرافيا الاقتصادية وعلم الاجتماع الاقتصادى مثل ، المنهج الاقليمى أو المحلى واهمية دراسة الحرف الاقتصادية وارتباطها بالمجتمعات البشرية ،أو مايعرف بتوزيع العلاقة بين الموارد والسكان وتفسيراتها المختلفة . وبصورة عامة تسعى الجغرافيا اقتصادية لدراسة الامكان الجغرافية التى يوجد بها النشاط الاقتصادى ، وخصائص هذا النشاط ، والظاهرات الاخرى التى ترتبط بنوعية النشاط الاقتصادى .

وفى السنوات الاخيرة ، اهتم كل من المتخصصين فى مجال الجغرافيا الاقتصادية ، وعلم الاجتماع الاقتصادى بمعالجة العديد من الظواهر

Scanned by CamScanner

الاقتصادية الاقليمية والعالمية ومن أهمها على سبيل المثال ، دراسة أسباب المشكلات الاقليمية الاقتصادية العالمية ، والعلاقة بين توزيع القروض والديون بين دول الشمال والجنوب أو ما يعرف باسباب الصراع الشمالى الجنوبى . علاوة على تحليلات مشكلات اقتصادية الدول وعلاقتها بتوزيع السكان وكثافاتهم ، ومستوياتهم الحرفية والمهنية ، والدخل ، والانفاق ، والاستهلاك ومعدلات الفقر والبطالة وغيرها من المشكلات المجتمعية الاخرى . من هذا المنطلق ، تجيء الدعوة الى المتخصصين فى علم الاجتماع الاقتصادى بضرورة استخدامهم ما يسمى بالمدخل التعددى للعلوم الاجتماعية Interdisciplinary approach للاستفادة من التطورات العلمية والتخصصات المتنوعة سواء على المستويين النظرى والامبريقى عند دراسة المشكلات والظواهر الاقتصادية والاجتماعية .

خاتمة :

كشفت التحليلات السابقة لنشأة علم الاجتماع الاقتصادى وتطوره ومجالاته المختلفة ، عن الكثير من الحقائق حول طبيعة فرع من فروع علم الاجتماع ، والتى تمتد جذورها مع اهتمامات الرواد الاوائل المؤسسين لعلم الاجتماع . فلقد لاحظنا ، كيف أعطى أوجست كونت مزيدا من الاهتمام حول أحقية علم الاجتماع بمعالجة القضايا والمشكلات الاقتصادية المختلفة خاصة وأن هذا العلم (الاجتماع) يعد أسمى العلوم الاجتماعية كلها . كما قد لاقت افكار «كونت» عن الوضعية قبولا واسع النطاق بين العديد من العلوم الاجتماعية ولاسيما علم الاقتصاد ذاته ، خاصة وأن «الوضعية» أصبحت أحد المناهج العلمية التى تبنتها الكثير من اهتمامات العلماء فى مجال العلوم الانسانية فى الدول الاوروبية وخاصة المانيا وفرنسا .

كما كشفت الافكار والتحليلات أيضا ، عن نوعية العلاقة بين الاقتصاد والاجتماع خلال القرن التاسع عشر حتى بعد أن تراجعت الكثير من آراء علم الاجتماع عن أفكار «كونت» وسيادة علم الاجتماع للعلوم الاجتماعية . وجاء هذا التراجع نتيجة للضغوط التى مارسها علماء الاقتصاد على علم الاجتماع ، وأحقية الاول بالاهتمام بالقضايا والمشكلات الاقتصادية باعتبارها من مناطق نفوذه والتى يجب تحليلها . مما ساعد على تراجع علم الاجتماع أيضا ، بعض من علماء الاجتماع انفسهم وأكدوا على أن هذا العلم الناشىء

Scanned by CamScanner

يجب ان يركز على تكوين هويته وماهيته واطره النظرية والمنهجية كمعطيات اساسية ، يجب اى علم حديث ان يهتم بها اولا . ولكن نجد ان اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن الحالى (العشرين) شهدت مراحل من التعاون والتنافر بين كل من علماء الاقتصاد والاجتماع.وان كانت ظهرت عدد من الجهود المشتركة لتوضيح وجهات نظريهما وتخصصاتهم المتطورة ، وهذا ما ظهر بوضوح خلال الفترة من العشرينات حتى الاربعينات على سبيل المثال . الا ان مرحلة الخمسينات والستينات شهدت تطورات علمية كبيرة خاصة على علم الاجتماع من الناحية النظرية والمنهجية ، الامر الذى جعل عدد من المهتمين به يطالبون بضرورة معالجة القضايا الاقتصادية باعتبارها قضايا مجتمعية . وهذا ما ظهر على سبيل المثال ، فى افكار تلكوت بارسونز الذى اكد على ان علم الاقتصاد يعتبر علما اجتماعيا يعالج قضايا اجتماعية وان النظام الاقتصادى ما هو الا نظاما اجتماعيا .

من هذا المنطلق ، نلاحظ ان نشاة علم الاجتماع الاقتصادى ارتبطت بالمراحل التطورية التاريخية لعلم الاجتماع ذاته ، وشهد نصف القرن الاخير تطورات علمية كبيرة،خاصة بعد ان اعطى لعلم الاجتماع المزيد من الشرعية الاكاديمية فى الجامعات والمراكز العلمية الامريكية . واصبح رواد علم الاجتماع الامريكى اكثر مرونة من علماء الاجتماع الاوروبيين فى تناول القضايا والمشكلات الاقتصادية ، والتحرر كثيرا عن المجالات التقليدية التى يعالجها علم الاجتماع سابقا . وان كان ذلك ، لا ينفى ما اهتم به علماء المدرسة الاوروبية وكما سنشير الى ذلك بصورة اكثر تحليلا ، من امثال فيبر ، ودوركايم ، وسبنسر،وباريتو فى وضع اسس علم الاجتماع الاقتصادى واستخدام مفهوماته ومجالاته بصورة واضحة ومميزة .

عموما يمكن القول ، ان عملية توسيع اهتمامات ومجالات علم الاجتماع الاقتصادى منذ منتصف القرن الحالى ، جاءت نتيجة طبيعية للاهتمامات الاساسية لعلماء الاجتماع انفسهم ، وسعيهم لضرورة تنويع تلك الاهتمامات ومعالجة المشكلات المجتمعية التى تحدث بصورة مطردة فى المجتمع الحديث . بالاضافة الى العوامل الخارجية الاخرى التى جاءت كرد فعل للانتقادات التى تزعمها اصحاب فكرة الاقتصاد الامبريالى ، التى ظهرت مع بداية الخمسينات،وتصدى لها عدد من علماء الاجتماع ولاسيما بارسونز

Scanned by CamScanner

وسملر وغيرهما وهذا ما ايده بعد ذلك كثيرا من علماء الاقتصاد نفسهم . وعموما ، لقد شهدت السنوات الاخيرة نوعا من التعاون بين علماء الاقتصاد والاجتماع ، مما اثرى بوضوح فى تحديث الموضوعات والاهتمامات المشتركة بينهما ، وتطوير علم الاجتماع الاقتصادى وتنوع مجالاته وقضاياه التى يعالجها بصورة متعمقة ، وهذا ما سنعالجهبصورة اكثر تحليلا فى الباب القادم .

علاوة على ذلك ، ان تطور علم الاجتماع الاقتصادى لم يقتصر فقط على تحليل العلاقة التاريخية بين كل من علم الاقتصاد والاجتماع ، بقدر ما اسهمت مجموعة العلوم الاجتماعية الاخرى فى هذا التطور والتحديث ومن اهم هذه العلوم التاريخ ، والسياسة ، والانثربولوجيا ، وعلم النفس، والجغرافيا على سبيل المثال . خاصة وان تلك العلوم قد تطورت علومها الفرعية نتيجة لزيادة الاهتمام بالتخصصات العلمية لها ، ورغبة المهتمين بالعلوم الانسانية بضرورة زيادة سبل التعاون بينها للاستفادة من الخبرات العلمية المتطورة التى تظهر بين هذه العلوم من أجل تحديث اساليبها النظرية والمنهجية عند معالجتها للمشكلات التى تواجه المجتمع الحديث ، ومماثلة التقدم العلمى الذى احدثته العلوم الطبيعية بقدر الامكان .

Scanned by CamScanner